الداعية الأديب

د/ محمود عمارة

لمحات من حياته

ومسيرة عطائه

بقلم / سالم الدسوقي

﴿ المطلب الأول ﴾

حيـاة الكـاتب

أولاً- بيئة الكاتب الداخلية :

أ- المولد والنشأة :

ولد الدكتور "محمود عمارة" في قرية "سلامون" مركز "الشهداء" بمحافظة "المنوفية" ، في (٨ شوال ١٣٤٧هـ)، الموافق (٢٠ مارس ١٩٢٩م).

١ - أثر القرية في شخصية الكاتب :

تُعد القرية المصرية العمود الفقري للمجتمع المصري، وهي كنز الدولة الثمين؛ فيها تَخرَّج أكثر القادة والزعماء والعلماء الأفذاذ في شتى ميادين الحياة، وكان من هؤلاء الدكتور "محمود عمارة"، وعن أثر هذا المولد وتأثير القرية في تكوينه الشخصي، وتحت عنوان "قريتي مدرستي" يقول : "إنها لم تكن فقط قريتي، ولكنها كانت بالدرجة الأولي مدرستي، هذه القرية ذات الطبيعة المتفتحة، الواضحة والتي ترفض اللف والدوران، إيمانا بالصراحة التي كانت سمة الحياة هناك وما تزال." [(١)].

وتبقى أخلاق القرية أثيرة في نفس أديب الدعاة، ويوضح السر في الارتباط بالقرية، وتعلق القلوب بها، وعدم المقدرة عن الابتعاد عنها حتى وإن توافرت سبل الراحة والرغد في هذا البعد، وإن فَرض عليه هذا القرب الصعاب وجَرَّ عليه المتاعب، بقوله : "هذه الطبيعة التي أنشأت في القلوب معني المودة، والتعاون، والإيثار، ومن أجل ذلك تظل القرية تسبح في خواطرنا، لا تغيب، وقد تقبل في سبيلها العذاب، ما دام هناك اقتراب، في الوقت الذي ترفض فيه الرحمة مع فراقها."[(٢)].

---

(١) الإعلام الإسلامي في مواجهة الإعلام المادي- د:محمود محمد عمارة – صفحة: (ك ، ل)،في المقدمة، ط٢ مطبعة التوحيد بشبين الكوم (د.ت).

(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة .

٢ – تعليمه الأول :

تلقى الكاتب تعليمه الأول في كتَّاب القرية، حيث أتمَّ حفظ القرآن الكريم، فانعقدت في ذهنه هيئة الشيخ بوقاره وهيبته.

لقد أَثَّر هذا اللقب تأثيرا كبيرا في نفسه وتعلق الشيخ به منذ صباه ؛ ومن ثَمَّ حظِي بالمزيد من السعادة التي صورَّها بقوله: " أتممت القرآن الكريم حفظاً...وكان يسعدني في ذهابي وإيابي أن يشير الصبية في الكتاب إليَّ قائلين: وصل الشيخ محمود." [١].

ويبقى دور الكتاتيب فاعلاً دون غيرها من المؤسسات التعليمية، لكونها قائمةً على تحفيظ القرآن الكريم بشكل جماعي، يساعد على سرعة الحفظ والاستيعاب، وإثارة روح المنافسة ومن ثمَّ التميز بين الطلاب، وأما عن جلال هذا اللقب وسر الهيبة الكامنة فيه فيقول : "لقد كانت المشيخة لواء النصر المعقود على من حفظ القرآن الكريم ، وإن لم يكن بلغ سن الرشد، وإذا كان في القرية عندئذ من ينادي بالدكتور لأنه رشح لكلية الطب ، فقد كان لقب الشيخ أندي، وكان أجمل في حس الناس جميعا، جمالا، ونداوة مشتقين من القرآن الكريم، الذي قد يخطئ واحد في تلاوته ، فلا تحتاج إلى عالم لتصحح به الخطأ ، ولكن يتكفل بالرد آلاف الصبيان في آلاف الكتاتيب"[٢].

كما أن حفظ القرآن في المرحلة العمرية الصغيرة يظل ثابتا في الذاكرة ويقوِّم منذ البداية اللسان العربي ويقوي مخارج الحروف، ويبقى "العلم في الصغر كالنقش علي الحجر"[٣]، يَخلُد ويطولُ أمُده فالطفل كالوعاء الفارغ إن امتلأ علماً أصبح نوراً ومنارة، وسلك طريقه في الحياة، محققاً ما قد رجاه، وهو الدعوة إلى الله.

٣– الاستعداد للدعوة :

---

(١) أ.د:محمود محمد عمارة – سيرة ومسيرة، د: محمد العاصي، صـ٢٤ مطابع التوحيد الحديثة بشبين الكوم – (د.ت).

(٢) المصدر السابق، صـ ٢٤ .

(٣) من أقوال الحسن البصري.انظر: نثر الدر في المحاضرات، لمنصور بن الحسين الرازي، أبو سعد الآبي (المتوفى: ٤٢١هـ).جـ٥ / ص١٢٧– الباب التاسع كلام الحسن البصري –تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ – دار الكتب العلمية للنشر –بيروت /لبنان – ط١، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م.

ويستمر لقب الشيخ ذا أثر فعال في نفسه ، عَبَرَ به إلي آفاق بعيدة ، جعله يتخيل نفسه خطيبا علي منبر عال ، والناس حوله يستمعون نصحه ، ويؤكد الدكتور محمود عماره هذا المعنى في تمهيد كتابه : الخطابة بين النظرية والتطبيق فيقول : "ولقد كان الأمل في أن أكون خطيبا يلح على خاطري دائما. فبينما كان يحلم رفاقي أن يكونوا مدرسين أو مهندسين ضباطا أو مخترعين ، كانت صورة حياتي المقبلة : خطيبًا يعتلي منصة ، وبين يديه جماهير ينصتون ويتأثرون."[١].

ومن هنا بدأت رحلة الكاتب العلمية، والتي انطلق من خلالها إلى الأفق الرحب ليحلقٍّ في رحاب العلوم الشرعية والعربية، ونهل من معينها الصافي، حيث هيَّأته لأن يتميز فيها ليستحق أن يكون أديباً للدعاة.

ب – الحياة العملية :

تخرج الدكتور"محمود عماره" في كلية أصول الدين والدعوة بالقاهرة عام ستة وخمسين وتسعمائة وألف من الميلاد. وجاءه العمل مدرساً بالأزهر الشريف في أسيوط.

* تسلم الكاتب خطاب التعيين وكان العمل في معهد أسيوط في الثامن من أكتوبر عام سبعة وخمسين وتسعمائة وألفٍ من الميلاد، يقول الكاتب عن هذا العمل : "وقد كان هناك إلى جانب التدريس التزامات أخرى، يجب على المدرس أن ينهض بها، ولكن شيخ المعهد أصدر توجيهاته السرية باستثناء "الشيخ عمارة" من هذه الأعباء، ليتفرغ للدعوة، وليجوس خلال قرى المحافظة خطيباً وواعظاً"[٢].

مكث "الشيخ عمارة" في أسيوط عاماً واحدً حظِي فيه بحبٍّ الجميع، وأقيم له حفل وداع فى المعهد قبل رحيله عنه. وكان مما أُلقي في هذا الحفل هذه الأبيات بعنوان : "وداع"[٣]، يودِّع فيها الطالب شيخه وأستاذه "الشيخ عمارة " واصفاً مشهد الوداع من الشعور بالأسف لهذا الفراق، وبكاء أسيوط لبعد الشيخ، وفرح دسوق لوفادته عليها، ثم يتأسَّى بكون الشيخ من المجاهدين في الأرض، وهذا هو قَدَرُه المحتوم، هذا جزء منها :

---

(١) أ.د: محمود محمد عمارة سيرة ومسيرة، ص٢٦ .

(٢) الدين والحياة، الشيخ محمود محمد محمد عمارة، ص٤ – ط١/ مطبعة التوحيد بشبين الكوم ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٣) الأبيات للطالب/ سعد مهنى سعد البرباوي. كان أحد تلاميذ "الشيخ عمارة" بمعهد أسيوط آنذاك.

(من بحر الطويل) [١]

يَعِـــزُّ علينَـــا أَنْ تُفـــارقَ دارنـــا *** وفيهـــا فـــؤادٌ قَـــد تَرعْـــرعَ خَـــاطِره

فأســيوطُ تبكــي حــين تــضحك أختهــا *** دســوق وتظهــر فــي الوجــه بــشائره

هنيئـــا لهـــا فـــاليوم فيهـــا عمـــارة *** يجـــدد مجـــدا والـــشباب تـــسايره

دَعُـــوهُ يجـــوبُ الأرضَ فهـــو مجاهـــدٌ *** يـــسير إلـــى حيـــث المعـــالي تُـــساهره

وفي النهاية يعتز "الشيخ عمارة" بأبنائه الذين رباهم رغم قصر المدة، ولكن بدا أثره عليهم جلياً[٢]، وينتقل "الشيخ عمارة" بعد ذلك مثقلاً بالذكريات ولحظات الفراق إلى معهد "دسوق".

* انتقل بعد ذلك الشيخ "عمارة" إلى معهد دسوق في عام ثمان وخمسين وتسعمائة وألف، وحول عمله هذا يقول: "وتسلمت عملي في "معهد دسوق الديني"، وكان القدر الأعلى يدبر أمراً فهيأ له أسبابه: فمع وظيفة التدريس، كنت أكلف بين الحين والآخر، بخطبة الجمعة في مسجد "سيدي إبراهيم الدسوقي". وهي المتعة التي كانت وما زالت تُلح علي الشيخ منذ صباه { خطيب يعتلي منصة ، وبين يديه جماهير ينصتون ويتأثرون}. ها هي تلك تتحقق على أرض الواقع لمَّا أعانه الله عليها وهيَّأ له أسبابها، ولم يتوان الكاتب فسعي لها سعيها.

ثم يذهب "الشيخ عمارة"، إعارة إلي الجماهيرية الليبية، وبعد العودة من ليبيا يعود إلى معهد "بني مزار" بالمنيا، ثم إلى معهد فتيات المعادي، ثم إلى منوف.

وبعد هذه اللمحة عن حياة الكاتب العملية بين أروقة المعاهد الأزهرية، والتي ظهر من خلالها وقعُه في المتعاملين معه، وبصمته التي تبقى من خلال فكرٍ يُبْدِيه أو علمٍ يُهدِيه أو سماحة تأصلت في سجيته، شَعَر بهاَ كل من نال شرفَ صحبته. فتلك ذِكْراهُ ما زالت عَالقةً

---

(١) يوميات مسلم – د/محمود محمد عماره ، ص٢٤١،٢٤٠ – ط دار التوحيد بشبين الكوم ط١ / ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

(٢) انظر: المصدر السابق ص ٢٢٨.

في ذهن كل من تعامل معه أو قرأ له، فكان – رحمه الله – من أصحاب القبول الذين تطرب لسماعهم الآذان، بصوته الشَّجِي وحديثه النِّدى.

وكان من المراحل المهمة في حياة الكاتب، مرحلة الماجستير والدكتوراه، لنتعرف من خلالها كيف عايش تلك الفترة، وكيف حقق ما كان يرنو إليه من خلالهما.

٣ – مرحلة الدراسات العليا :

حصل الكاتب على درجة الماجستير في الدعوة والثقافة الإسلامية عام سبعين وتسعمائة وألف من الميلاد، وكانت تحت عنوان "نوح عليه السلام أول داع إلى الله".

وأما رسالة الدكتوراه فقد حصل عليها عام خمسة وسبعين وتسعمائة وألف وكانت بعنوان "تربية الأبناء في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة".

وقد ضمت الرسالتان قضايا إسلامية مهمة، مستمدة من القرآن الكريم ففي موضوع الماجستير، والذي كان حول دعوة نبي الله نوح (عليه السلام) والتي شكلت فيما بعد جزءًا كبيرًا من مقالات الكاتب الإسلامية، ثم الولوج في صميم المجتمع، والحديث عن النشء ولكن في إطار إسلامي من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

مما استدعي الصحف أن تجد فيها ثقافة إسلامية تخدم المجتمع، لذا آثرت التنويه عنها.

وكان مما جاء في منشور جريدة الجمعة في ١٩٧٥/٦/٢٨م ، تحت عنوان"تربية الطفل في رسالة دكتوراه لأول مرة في جامعة الأزهر: "وبين يدي "جريدة الجمعة"الآن مثال على هذا النوع من الأبحاث المبتكرة التي يتاح بها للأزهر أن يثري فكر المسلمين وحياتهم ، وهي الرسالة التي فاز بها بدرجة الأستاذية الدكتور محمود محمد عمارة المدرس بمعهد منوف الديني وموضوعها"النظرية المتكاملة لتربية الطفل في الإسلام"[١].

وبعد هذه الإشادة الصحفية بعلم الدكتور"عمارة" تُطِلُّ علينا مرحلة جديدة في حياته، يرى من خلالها عِلْمُه بُكْرَةَ الصبح إذا تنفس. وهي مرحلة نشر هذا العلم في رحاب الجامعة.

٤ – في رحاب الجامعة :

عاش الدكتور "عمارة"– رحمه الله – مدَّة كبيرة في محراب الجامعة، في الداخل والخارج : أساسيا، أو معارا، أو زائرا، أو محاضرا.

وبيان ذلك بشيء من التفصيل كما يلي :

---

[١] يوميات مسلم: ص ٤٩ .

* الجامعة الإسلامية بليبيا بين عامي "اثنين وستين وتسعمائة وألف" و "ستة وستين وتسعمائة وألف" من الميلاد، ولمَّا كان لأديب الدعاة حضور كبير – كالعادة – أُسند إليه عضوية الصحافة والإذاعة بطرابلس.

* جامعة الملك عبدالعزيز بالسعودية بين عامي "خمسة وسبعين وتسعمائة وألف"، و "تسعة وسبعين وتسعمائة وألف" من الميلاد. عمل أديب الدعاة مدرسا بهذه الجامعة بترشيح من أستاذه الشيخ محمد الغزالي.

* جامعة الأزهر عاد أديب الدعاة من السعودية إلى مصر ليعمل مدرسا بجامعة الأزهر ، وإلى كلية أصول الدين بالمنوفية مؤسسا، ثم استقال لرفض الجامعة إضافة مدة سابقة كانت قد أضافتها لزملاء له من قبل.

* جامعة "أم القرى" بالسعودية بين أعوام "واحد وثمانين وتسعمائة وألف" و "خمسة وثمانين وتسعمائة وألف" من الميلاد، و "اثنتين وتسعين وتسعمائة وألف" و "ستة وتسعين وتسعمائة وألف" من الميلاد. وكان ترشيحه في المرة الثانية عام "اثنتين وتسعين وتسعمائة وألف" من الميلاد، ليكون رئيسا للجنة الاختيار، استثناء من القاعدة الجديدة المعتمدة وقتئذ في السعودية والتي تقضي بأنه لا يعمل أحد بعد الستين ، ولكن أديب الدعاة كان قد كسرت من أجله القاعدة وعمل وعمره "اثنان وستون عاماً"، حتى صار سنه "ستة وستين عاماً"، وكانت تلك الفترة بين عامي "اثنتين وتسعين وتسعمائة وألف" من الميلاد، وعام "ستة وتسعين وتسعمائة وألف" من الميلاد[1].

* في رحاب جامعة الأزهر مرة أخرى ، عاد إليها أديب الدعاة فى عام ستة وتسعين وتسعمائة وألف من الميلاد، وظل بها ولم يقطعها إلا انتدابه أستاذا بجامعة "اليرموك" بالأردن عام اثنتين وألفين من الميلاد لمدة فصلٍ دراسي واحد.

ثم عاد إلى مصر قائلا : لا أطيق البعد أكثر من ذلك! فمكاني هنا ، وليس في مكان آخر!!

* أديب الدعاة في الجامعات المصرية الأخرى : انتدب طيلة بقائه في مصر للعمل :

– أستاذًا بطب المنوفية لمادة "السلوكية"[2] للفرقة الأولى عام واحد وتسعين وتسعمائة وألف من الميلاد.

---

(١) أ.د/محمود محمد عمارة سيرة ومسيرة ص٨١ .

(٢) الاسم الأكاديمي لها : الشريعة الإسلامية في السلوك المهني.

– أستاذًا بكلية العلوم جامعة المنوفية لمادة "الثقافة الإسلامية" عام تسعة وثمانين وتسعمائة وألف من الميلاد.

– عميداً لمعهد الدعاة بشبين الكوم : بقرار من الدكتور: محمد علي محجوب وزير الأوقاف وقتئذ. هذا فضلا عن الدعوات الجمة للمشاركة في الندوات والمناسبات الدينية شارحا وموضحا ومجيبا .

وبعد هذه الجولة حول حياة الدكتور"محمود عمارة" في محاولة لسَبْرِ أغوارها، والوقوف علي دقائقها وأخبارها، من مولده وحتى دنو أجله. لا ريب أنَّ موتَ العلماء خطبٌ جلل، لكنها سنة الله الجارية والماضية في عباده، ننتقل إلى رثاء الكاتب.

***رحيل أديب الدعاة :**

كتب الدكتور: محمد فتحي فرج[1] مقالا في مجلة الأزهر في باب "أعلام الفكر الإسلامي"، تحت عنوان : الدكتور محمود عمارة..وداعاً، هذا جزء منه :

((رحل عن دنيانا الفانية الأستاذ الدكتور "محمود محمد عمارة"..صباح يوم السبت الموافق للعشرين من ديسمبر ٢٠١٥م، عن عمر يناهز السادسة والثمانين – رحمه الله رحمةً واسعة. وقد عرفت الدكتور عمارة منذ أكثر من ربع قرن فكنت أوجه الدعوة إليه لإلقاء بعض المحاضرات على طلاب كُليَّتي التربية النوعية بأشمون وكلية العلوم بجامعة المنوفية بشبين الكوم، فما كان الرجل يخذلني، بل كان يُسارع في تلبية الدعوة، ويتجشَّم عناء السَّفر من مدينته التي كان يُقيم فيها (منوف)، لينتقل إلى مدينة أشمون، أو مدينة شبين الكوم، ليجد في انتظاره جمعاً حافلاً من الطلاب، والعاملين، ومحبي هذه اللقاءات من مواطني المدينتين الذين يعرفون قيمة الرجل وقدره، ويدركون حقاً منزلته العالية...رحم الله الدكتور محمود محمد عماره رحمة واسعة لقاء ما قدم لأمته من فكر إسلامي معتدل مستنير، وجزاه الله عما قدم من علم غزير لأبنائه وأحفاده من طلاب العلم في رحاب الأزهر الشريف، وما أعطى من محاضرات عامة، أو أحاديث إذاعية أفادت الكثيرين من أبناء الوطن العربي بل وكل من يتحدث العربية أو يفهمها على وجهها الجميل الصحيح.))[2].

---

(١) أ.د. محمد فتحي فرج بيومي ، أستاذ الفسيولوجي المتفرغ، ورئيس قسم علم الحيوان الأسبق بكلية العلوم، جامعة المنوفية.

(٢) مجلة الأزهر، الجزء ٥– ص١٠٨٤،١٠٨٦– جمادى الأولى١٤٣٧ هـ ، فبراير/مارس٢٠١٦ .

ونظراً لما كان عليه أديب الدعاة – طيب الله ثراه – من علم غزير، وخُلقٍ محمود ، وسَريرة نقية شفافة، وكابن من أبناء الأزهر البررة، نعاه الأزهر الشريف، ومجمع البحوث الإسلامية، على صفحات عددٍ من الجرائد والمجلات والمواقع الإخبارية منها :

* نعى الأزهر الشريف للراحل الكريم على موقع أخبار الدستور جاء فيه : ((توفى العالم الجليل الدكتور محمود محمد عمارة، عضو مجمع البحوث الإسلامية، وأحد علماء الأزهر البارزين، صباح اليوم السبت. ومن جانبه، نعى الأزهر الشريف العالم الجليل، وتقدم بخالص العزاء والمُواساة للعالم الإسلامي، ولأسرة الراحل، سائلًا الله – عزَّ وجلَّ– أن يتغمده بواسع رحمته جزاء ما قدَّم، وأن يُلهم أهله وذويه الصبر والسلوان.))[١]. كما تقدم الأزهر الشريف بنعي نُشِرَ على موقع أخبار العاصمة[٢]، وتقدم مجمع البحوث الإسلامية بنعيين نشرا على موقعي الوفد، والمصري اليوم[٣].

ثانياً– بيئة الكاتب الخارجية :

بيئة الفرد هي المجال الذي يحدث فيه الإثارة ، والتفاعل مع كل ما يحيط به من طبيعة ومجتمعات بشرية ، ونظم اجتماعية ، وعلاقات شخصية ، فالتفاعل متواصل بين البيئة والفرد وهي بشكل عام الإطار الذي يحيا فيه الفرد ويحصل منه علي مقومات حياته .

ويرتبط نجاح الإنسان في البيئة علي قدر فهمه لها ، واستثماره لمواردها .

وانطلاقا من ذلك فإن الدكتور "محمود محمد عماره" ولد في مركز الشهداء وهو من المراكز القديمة والعريقة والذي اشتهر بهذا الاسم حيث استشهد به عدد من الجنود المسلمين عند فتحهم لمصر وتخليصها من حكم الرومان ، كما استشهد على أرضه أيضا عدد من أبناء مصر في حادثة دنشواي الشهيرة ، ويقع مركز الشهداء بمحافظة المنوفية ذات المستوى الرفيع في الفكر والسلطة ولعل السر في ذلك يعود إلى التعليم بنظام الكتاتيب، فقد انتمى لهذه المحافظة العريقة عدد من قيادات الأزهر الشريف من بينهم شيخ الأزهر (إبراهيم الباجوري)[٤]،

---

(١) http://www.dostor.org/949818.

(٢) http://al3asemanews.net/news/show/143335.

(٣) http://www.almasryalyoum.com/news/details/860340

(٤) إبراهيم بن محمد بن احمد الباجوري (١١٩٨ – ١٢٧٧هـ) ،(١٧٨٤ – ١٨٦٠ م). ولد في الباجور=

وشيخ الأزهر (عبد المجيد سليم)[١]، وهو من مواليد مركز الشهداء أيضا، ووزير الأوقاف الأسبق الدكتور (الأحمدي أبو النور)[٢]، وهذا غيض من فيض مما قدمته وتقدمه تلك المحافظة العريقة من أعلام في شتى المجالات.

كان الدكتور محمود عمارة أحد أعلام هذه المحافظة، مفكراً وأديباً وخطيباً، وحتى في مجال السياسة فقد كان عضوا باللجنة المركزية بالحزب الوطني – آنذاك – وكان رئيسا لمركز شباب "سلامون قبلي" ها هو ذا يفصح عن ذلك بقوله : "ولقد كان عملي في الحزب الحاكم اختياراً وتكليفا، فلقد صدر قرار محافظ المنوفية : المهندس"أحمد سلطان إسماعيل" في ١٩٧٠/١/١م بتكليفي رئيسا لمركز شباب "سلامون قبلي" ، فقبلت التكليف منطلقا من قاعدة أعتقدها في أن أخدم الدعوة من كل موقع وفي كل مجال، ومارست نشاطي."[٣].

وهو لم يكن يهوى العمل السياسي فقد كان مدفوعا إليه بتكليفات رسمية، كما ذكر وقد حاول الاعتذار عن العمل السياسي– مِراراً– إلا إنَّ اعتذاره لم يقبل، حيث يقول : استمر العمل على هذا المنهاج في الحزب الوطني، وحاولت الاعتذار مرارا ، لكنه لم يقبل!!.

ثمَّ يستطرد قائلاً : "تقلبت في بعض المواقع حتى صرت عضوا باللجنة المركزية ، وكانت عبئاً عليَّ، أذكر أن زميلاً لي من "كفر الجلابطة" [٤] كان يذهب قبل الاجتماع بيوم يبيت عند ابن عمه، وكان أعزب، فيستريح ويخرج الساعة العاشرة ، واللجنة في الحادية عشرة ،

= إحدى قرى مديرية المنوفية بمصر، وقدم الأزهر فتعلم فيه. معجم المؤلفين. المؤلف: عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي(– ج١ / ص٨٤ –مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.(د.ت).

(١) عبد المجيد سليم (١٢٩٩ – ١٣٧٤ هـ = ١٨٨٢ – ١٩٥٤م)، في قرية (ميت شهالة)، وهي قرية تابعة لمدينة الشهداء بمحافظة المنوفية. ولِّي مشيخة الأزهر مرتين. والإفتاء نحو عشرين عاما. توفي بالقاهرة سنة ١٩٥٤.الأعلام للزركلي. ج٤ / ص١٤٩ – الناشر: دار العلم للملايين. ط١٥ / مايو ٢٠٠٢م.

(٢) الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، ولد عام ١٩٣٠م بقرية سلامون قبلى مركز الشهداء بمحافظة المنوفية، حصل على الدكتوراه من الأزهر الشريف في الحديث وعلومة عام ١٩٧٠م، تولى وزارة الأوقاف المصرية أوائل الثمانينيات، توفي عام ٢٠١٥م.https://ar.wikipedia.org

(٣) أ.د:محمود محمد عمارة – سيرة ومسيرة، د: محمد العاصي. ص٢١٩

(٤) يتبع كفر الجلابطة الوحدة المحلية بكفر عشما –التابعة لمركز الشهداء بمحافظة المنوفية =

ومع ذلك : كان ينام على كرسيه!! أما أنا : فكنت قَلِقًا لم آخذ حظي من النوم..فلقد ذهبت قبل اللجنة إلى معهد منوف لأداء حصتي صباحا..ثم سافرت إلى مصر للجنة التي تنتهي الساعة الثالثة عصرا..وأنا كنت متيقظا من الثالثة فجرا!!" [١].

وعلي الرغم من مشقة هذا العمل السياسي عليه فقد كان له من البركات ما ذكره فضيلته في قوله : "لقد كان من بركات هذا الاتجاه للحزب الحاكم ..هذا الموقف الذي آمل أن يكون في ميزان حسناتي"[٢]، (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا)[٣].

لقد ناقشت الرئيس الراحل "أنور السادات" في صياغة المادة الثانية للدستور، وكان النص المقترح وقتئذ : الشريعة الإسلامية مصدر رئيس من مصادر التشريع.

فقلت : لا . بل : الشريعة الإسلامية المصدر الرئيس للتشريع .

ووافق الرئيس الراحل على الاقتراح.

وانظر كم فيه من خير!!" [٤].

وفي ذلك دليل على أن الكاتب لم يكن معزولاً عن العمل العام، بل يشارك باستطاعته في كل المجالات.

وبعدُ، وإن غاب أديب الدعاة عن الدنيا بجسده، إلا إنَّ روحه ما زالت تسري عَبْرَ أثره، هؤلاء هم العلماء، لا يُعطون الناس شيئاً من حُطام الدنيا، ولكن يُعطونهم إرثاً من إِرْثِ النُّبوَّة حملوه إليهم، فهم " يَدْعُونَ مَنْ ضَلَّ إِلَى الْهُدَى، وَيَصْبِرُونَ مِنْهُمْ عَلَى الْأَذَى، وَيُحْيُونَ بِكِتَابِ اللَّهِ أَهْلَ الْعَمَى، كَمْ مِنْ قَتِيلٍ لِإِبْلِيسَ قَدْ أَحْيَوْهُ، وَضَالٍ تَائِهٍ قَدْ هَدَوْهُ."[٥].

حقًا مات أديب الدعاة، وقضَى نحبه، ولكن ما انقطعَ عمله، إذ ترك عِلمًا يُنتفع به، وآثارًا آنَ الحديثُ عنها.

= ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

(١) أ.د:محمود محمد عمارة – سيرة ومسيرة، د: محمد العاصي. ص١٩٤.

(٢) السابق ص١٩٤ .

(٣) سورة آل عمران من الآية ٣٠ .

(٤) أ.د:محمود محمد عمارة – سيرة ومسيرة، د: محمد العاصي. ص١٩٤.

(٥) البدع والنهي عنها. أبو عبد الله محمد بن وضاح بن بزيع المرواني القرطبي (المتوفى: ٢٨٦هـ)، ص٢٦ /تحقيق ودراسة: عمرو عبد المنعم سليم. الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة– مصر، مكتبة العلم، جدة – السعودية. الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ.

المطـــلب الثـــــاني

آثـاره الأدبيـــة

الـدكتور "محمـود محمـد عمـارة" نمـوذج فريـد مـن العلـم والأدب، خَلَّـف كمـاً هـائلا مـن الأعمـال الأدبيـة الكثيرة والمتنوعـة ، والمنشورة بكبرى الصحف والمجلات المحلية والعربية ، ودور النشر المختلفة ، والتي يجب على الباحثين الاعتناء بها ، لأنها تعد شاهدا على فكر صاحبها، أو مرآة تعكس ما يجول في نفسه أو في المجتمع الذي يعيش فيه، ولا ريب في كون أعمال أديب الدعاة ، وآثاره الأدبية الكثيرة والمتنوعة قد أسهمت في تنوير العقل المسلم وقدمت حلولا لكثير من المشكلات من منظور إسلامي أزهري وسطي مستنير.

وقد تنوعت آثاره الأدبية فكان منها :

أولا – المقالات :

تميز الدكتور "محمود محمد عمارة" في هذا اللون الأدبي المؤثر ، وكانت مقالاته تنشر في مختلف الصحف والمجلات المصرية والعربية ، وبلغت من الصياغة، وحسن التقسيم وتغلغلها في أعماق القلوب، ما جعله وبحق يستحق أن يطلق عليه لقب "أديب الدعاة" ، وأذكر في رحلتي البحثية عن هذه المقالات الفريدة لجمعها وإثباتها في كشاف ببليوجرافي ملحق بهذه الدراسة ، أنني التقيت أحد العاملين في جريدة "صوت الأزهر" المصرية ، وبمجرد أن سمع اسم الدكتور "محمود محمد عماره"، وأنا أبحث عن مقالاته قال :

(الدكتور عمارة – عليه رحمة الله – كان يأتيني بقرابة الخمسين مقالا أسبوعيا لننشر منها مقالا واحدا لقد كان بحرا من العلم–عليه رحمة الله.)، وسيأتي الحديث عن المقال مفصلا في مواضعه.

ثانيا – الكتب :

جَمعت كتب أديب الدعاة على كثرتها معظم نتاجه العلمي والفكري، منها رسالتان جامعيتان أمَّا الأولى فهي رسالة الماجستير بعنوان : " نوح أول داع إلي الله " وقد نُسِخَت في كُتيِّب صغير طبعته دار السلام بالقاهرة، ثم صار في حجم كبير طبعته مكتبة الإيمان بالمنصورة في طبعته الثانية عام "واحد وألفين" من الميلاد.

وأمَّا الثانية فهي رسالة الدكتوراه بعنوان : " تربية الأبناء في الإسلام " وقد نُسِخت في كتاب طبعته مكتبة الإيمان بالمنصورة عام "ثمان وتسعين وتسعمائة وألف" من الميلاد، في مجلد ضخم .

ويمكن تقسيم كتب أديب الدعاة إلي أربع مجموعات من حيث نوع الدراسة وتتمثل فيما يلي :

١ – مجموعة الدراسات القرآنية :

سائح في رياض القرآن – النفس في القرآن – تقدمة التلاوة – مؤمن آل فرعون ودروس في الدعوة – فقه الدعوة من خلال آيات القرآن الكريم – القرآن في حياة المسلم .

٢ – مجموعة السنة النبوية :

قطوف من حدائق السنة – خلق المسلم من خلال أحاديث الدعوة – تأملات في السيرة النبوية .

٣ – مجموعة الأسرة والمجتمع :

من ملامح البيت المسلم – تربية الأبناء في الإسلام – نحو أسرة بلا مشكلات – صفحات من تاريخ المرأة المسلمة – مع الأسرة المسلمة في اللحظة المؤلمة – نحو مجتمع بلا مشكلات .

٤ – مجموعة أصول الدعوة :

نحو أسلوب أمثل للدعوة إلى الله تعالى – من الذي يغير المنكر وكيف ؟ – الخطابة في موكب الدعوة – الإعلام الإسلامي في مواجهة الإعلام المادي – الدعوة بين كيد الطغاة وحكمة الدعاة – تائبون يغسلون بالدموع خطاياهم – من أجل حوار لا يفسد للود قضية – دعوة الحق بين المجادلين فيها والمجادلين عنها .

هذا فضلا عن كثير من الدراسات التي خدمت المجال الدعوي والشريعة الإسلامية.

وتتمثل في هذه الأنواع الثلاثة :

* كِتَاب "صفحات من تاريخ المرأة المسلمة"[١] :

وقد اشتمل هذا الكتاب على العديد من العناوين المهمة أبرزها ما يلي :

١– هذه الفتاة تعلمنا فن الحياة.

---

(١) ط مكتبة الإيمان بالمنصورة ، ط٣ عام ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م

٢- المرأة بين السلبية والإيجابية.

٣- دروس من بيت النبوة.

٤- من المحنة إلي المنحة...إلخ

* كتاب " نحو أسرة بلا مشكلات"[١] :

يمضى أديب الدعاة – بمنهجه العلمي المتكامل – ليعالج مشكلات الأسرة ويداويها

ومن أبرز الموضوعات المهمَّة التي يحتويها هذا الكتاب ما يلي :

مدخل : في معنى الإسلام ، ومعنى الأسرة .

الأسرة المسلمة بين الإنصاف والإجحاف .

بناتنا بين الطيش وطيب العيش .

حتى يظل البيت مستقرا مستمرا .

المرأة على خط النار.

ثالثاً – إبداعـــــات أخـــــرى :

*** البرامج الإذاعية والتليفزيونية :**

امتاز أديب الدعاة بفصاحة اللسان، ولين الكلام، جعله مسموعاً عند الناس، فتطرب لسماعة الآذان، وتهفو القلوب والأعين لمشاهدته ، هيأ له ذلك قاعدة عريضة من محبي إذاعة القران الكريم ليستمعوا له في تقدمة التلاوة ، وبرنامج رأي الدين، وبرنامج النفس في القرآن الكريم...وغيرها، فضلا عن بعض البرامج والحلقات التليفزيونية، والخطب المنبرية المصورة والمذاعة .

*** الدكتور "عمارة" شاعراً :**

امتلك أديب الدعاة ملكة شعرية قوية، فله قصائد منها :

قصيدة بعنوان "لبيك يا مصر" تجلَّي فيها حسه الوطني، وفدائيته، وقد استهلها بقوله :

(من بحر الكامل) [٢]

أفـــديك يـــا مهـــد الحـــضارة بالـــدم *** طـــال الـــسكوت..تيقظـــي وتكلمـــي

---

(١) ط دار التوحيد بشبين الكوم- ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

(٢) من مشاهد الطبيعة إلى حقائق الشريعة، ص٢٧٠ – الطالب محمود محمد عمارة – مطبعة التوحيد الحديثة. ط١ / ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

قامـت شـعوب الأرض تنـشد مجـدها *** لابـــد أن تمـــضي وأن تتقـــدمي

احمـل سـلاحك يـا فتـى النيـل الـذي *** خـــاض المعـــارك ظـــافرا لـــم يهـــزم

هيـــا لتحريـــر الكنانـــة ضـــاربا *** صـــفحا بتهديـــد العـــدو المجـــرم

أرواحنـــا فـــوق الأكـــف رخيـــصة *** وغـــدا تـــذيقهمو عـــذاب جهـــنم

ونلحظ في نص الكاتب السابق استلهاب الهمم، وبث الروح في الشباب، لاسترداد الأرض.

وهذا نموذج ثانٍ لقصيدة في مولد الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، بعنوان :"وُلِدَ الهُدَى" عَبَّرَ من خلالها عن سعادة الدنيا بمولد الهادى (ﷺ)، وموجها فيها المجتمع إلى كيفية إحياء ذكرى مولد النبي (صلى الله عليه وسلم) ومهاجما العادات التي درج عليها العامة من مخالفات في هذه الذكرى العطرة، حيث ترك الكثير من الناس الأصول التي جاء بها رسول الله (ﷺ)، لنصرة الدين، وإعلاء راية الحق، فتقاعسوا عن أداء واجبهم نحو دينهم الحنيف، هذه بعض أبياتها :

(من بحر الكامل) [١]

ولـد الهـدى..شـمس الـسعادة أشـرقت! *** حيُّـوا معـــي طِـــبَّ القلـــوب محمـــدا!!

لهفـي علـى الإسـلام يـذهبُ مجـدُه! *** ويبيـــتُ مقـــصوصَ الجنـــاح مقيـــدا

عـــارٌ علينـــا..أن يـــراد بـــه الأذى *** فـــإذا اســـتغاث فـــلا تُمـــدُّ لـــه يـــدا.

هذا بالإضافة إلى مجموعة من القصائد الأخرى من أبرزها ما يلي : [١]

---

[١] من مشاهد الطبيعة إلى حقائق الشريعة، ص٢٨٥ .

* من وحى الجمهورية.
* هتفة حائرة.
* أنا حامل الفأس.
* شريد.
* حمامة وصياد.
* الحب عشق الروح.
* دمعة وفاء.

وأخيرا هذه لمحة من حياة أديب الدعاة الدكتور "محمود محمد عمارة" – رحمه الله – أختمها بحوار دار بينه وبين تلميذه النجيب الدكتور "محمد محمد العاصي" قبل أن ينتقل أديب الدعاة إلى الرفيق الأعلى، دَوَّنه الدكتور "محمد العاصي" في كتابه عن مسيرة أديب الدعاة، يقول الدكتور العاصي تحت عنوان :

قطوف جلسة مع أديب الدعاة :

هذه أسئلة وإجاباتها، أنقلها بلا تنميق أو تزويق، أو تعليق :

وليس لها مرجع سوى أمانة المجلس الذي جمعني مع أديب الدعاة!!

١– هل تطلعت نفس أديب الدعاة إلى المناصب الكبرى، كالوزارة، مثلا ؟

* لم يكن هذا في خيالي، لسبب بسيط هو : أنها لم تكن تصلح لي ولم أك أصلح لها!

خذ مثلا على هذا الأخ أ.د– الأحمدي أبو النور:وزير الأوقاف الأسبق .

ذهبت لأهنئه مع زوج أخته ، وبعد دقيقتين – لم آخذ التحية – قلت لزوج أخته : هيا بنا إلى القرية..وعدنا..وقلت : دخل د.الأحمدي القفص الذهبي ، وأنا أكثر سعادة وأكثر حظا منه بعدما رأيت هذه القيود التي أحاطت به!

أنا حر طليق..أريد أن أظل هكذا!

لقد انتخبوني باللجنة المركزية..زمان..واليوم عضوا بمجمع البحوث وأنا في القرية أشارك من ذُبحت بقرته مصيبته!!

٢– ما الذي يجب أن يعرفه الناس عن أ.د: محمود محمد عمارة؟

---

(١) المصدر السابق : ٢٦٨ – ٢٨٥ .

* الأعمال الخيرية بيني وبين الله : لا يجب أن يعلمها أحد، أما ما يجب أن يعلمه الناس فهي أفكاري التي أظنها جديدة ومفيدة، وهذا طموح من حقي.

مثل : حَمْلُ الدعاة على الانطلاق من فقه اللفظ نفسه : كأنْ تقول استلمتُ من فلان مبلغا وتَسلَّمتُ منه مبلغا ، فالصيغة الأولى : استلمت بمعنى لمس.

أما تسلم : فهي بمعنى قَبَضَ . والكلمة العربية لها خصوص.

وإذا دخلت القرآن كنت – كما قال شيخنا عبدالله دراز :أمام فص من الماس لا تدري : ما تأخذ وما تدع!!

وإني أُذَكِّرُ الدعاة أنَّ من أسباب نجاح الشعراوي : انطلاقه من قاعدةٍ لغوية!!

وأخيرا ماذا تقول : أ – لمؤيديك ومريديك ب – لمعارضيك وناقديك؟

* أطلب ممن يحبني أن يدعو لي حتى يجمعنا الله في مستقر رحمته.

أما المعارضون :

(مرحباً بهم فأنا ممن لا يتحاشى سهام النقد. ذلك أنَّ الذي يخاف سهام النقد لا يقول شيئا، ولا يفعل شيئا! اللهم اجعل أفكارنا خالصة لوجهك الكريم ،دائرة في الرءوس أو مسطورة في الطُّرُوسِ)[١].

وما زال حديث أديب الدعاة موصولاً عن معارضيه موجِّهًا حديثه إليهم حيث يقول: "لكني أقول لهم أمرين:

الأول : ضعوا أنفسكم مكاني، وفي الموقف ذاته، وفي الظروف ذاتها، ثم احكموا ! فالحكم على الشيء فرع من تصوره، تصوروا الرجل، ثم احكموا.

والثاني : تذكروا قول الله تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ ۝٦﴾[٢].

وقد يكون : (هذا قدر الشيوخ لدى شباب مخلصين ولا شك. ولكنهم فهموا – أو أفهموا – معنى الإخلاص لغة ولم يفهموه شرعا فالإخلاص يعني :

التخلص من مشاعر الأنانية، وأن أتجرد في مواجهة فكر الغير من كل حكم سابق، تكون لكل الآراء فرص متكافئة، ومهما يكن من أمر فقد كانت جرعة المرارة فوق طاقتي، ووجدتني أعبر عن حيرتي بقول من يعبر عن نفس مشاعري فيقول :

---

(١) الدين والحياة، الشيخ محمود محمد عمارة، ص ١٠

(٢) سورة الحجرات ، من الآية ٦ .

(من بحر المتقارب) [١]

ضَـــحِكْتُ فَقـــالُوا أَلاَ تَحْتَـــشِمْ *** بَكَيْـــتُ فَقَـــالُوا أَلاَ تَبْتَـــسِمْ

ومع هذا الظلم البين فلابد من هذه المفارقات.

وأخيرا :

فلأكن ذلك التلميذ الذي اشتكى لأستاذه قائلا : كلما أخلصت...لأحد تركني!!

فقال له الأستاذ : يا بني ! أبشر!!

فإن الله تعالى يريدك له وحده...سبحانه. [٢].

وتبدو هنا قيمةُ العالِم الذي اختاره الله إلى جواره، بعد أن ملأ الدنيا بآثاره.

ولا يخفى على المسلم مكانة العلماء وعلو منزلتهم، ورِفْعَةُ الله تعالى لهم، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١﴾[٣]

لذا من الأهمية بمكان أن نستكشف منابع علمهم، وروافدَ فكرهم، لتكون لنا نبراساً نسير في سناه، بعد أن تركوا لنا خَطْواً نَدِيًّا، بدا لمن اقتفاه جليًّا.

والحديث فيما يلي عن جملةٍ من المنابع التي استقى الكاتب منها علومه، واسترفد من خلالها ثقافته.

---

[١] شعر: د. محمد بن ظافر الشهري. مجلة البيان. تصدر عن المنتدى الإسلامي. ذو القعدة – العدد ١٢٣ / ص٧٦ – السنة: ١٢ – ١٤١٨هـ ./ مارس – ١٩٩٨م

[٢] انظر: أ.د:محمود محمد عمارة – سيرة ومسيرة، د: محمد العاصي. ص٢١٩ – ٢٢٣ .

[٣] سورة المجادلة من الآية ١١ .

الفصل الأول

الروافد الأساسية لفن المقال

عند "محمود عمارة"

ويتناول المباحث التالية :

المبحث الأول : الرافد الديني.

المبحث الثاني : الرافد الثقافي.

المبحث الثالث : الرافد الاجتماعي.

المبحث الرابع : الرافد السياسي.

المبحث الأول

الرافد الديني

المتأمل لحياة الدكتور محمود عمارة – رحمه الله – يجد أنه استقى ثقافته الدينية من روافدَ عديدة أمدته بثقافة إسلامية هائلة، شكَّلت فكره الإسلامي، وهيأته ليكون منبرا للمقالات ذات الخلفية الإسلامية، من أهمها :

أولا– أسرة الكاتب :

أسرة الكاتب – رحمه الله– لها النصيب الأكبر في دفعه إلى تَشرُّب الثقافة الإسلامية، وتُعَّد اللَّبِنة الأولى في تكوين فكره وثقافته الدينية، فالأسرة ذات أصول دينية راسخة نشأت على حفظ كتاب الله تعالي ومدارسته، وكان لوالد الكاتب الفضل الأكبر في دفعه إلي حقل الدعوة.

وفي ذلك يقول الكاتب: " الوالد عليه رحمة الله كان يحفظ القرآن، وكان والده أيضا يحفظ القرآن ، وكان له الفضل الأكبر لدفعي إلى حقل الدعوة، كانت الأمور تسير مسيرها الطبيعي حتى وصلت إلى السنة الثالثة الثانوية ، وكانت هذه أكبر محطة في حياتي ولأن الأسرة – وقتئذ – كانت تمر بضائقة مالية ، وكان يفترض أن أذهب إلى مدرسة المحصلين والصيارفة، لأعجل باستلامي عملاً أبْلُغُ به السعي مع والدي، لكنه رفض – رحمه الله – رغم الحاجة وكثرة الأولاد، وأصر على أنَّ "محمود" لأصول الدين، لتكون داعية، وفرَّ بي من مدرسة الصيارفة."(١). ويظهر من ذلك الحِسُّ الديني لدى الأسرة، والذي رسَّخ في نفس الابن الصغير منذ نعومة أظفاره حبُّ الدين ودفعة لحفظ القرآن الكريم، والدراسة في الأزهر، للإلمام بالعلوم الشرعية والدينية.

من هذا المُنْطَلق، يُعَدُّ والد الكاتب أهمَّ المحطات الناقلة في حياته، وعاملاً مؤثرا في تكوينه الديني والثقافي بل والسياسي كما سيأتي. ويستمر عطاء الوالد بدفع الابن لمزيدٍ من التقدم والنجاح فيوجهه إلى حفظ القرآن الكريم في كتَّاب القرية.

---

(١) أ.د: محمود محمد عمارة سيرة ومسيرة، د: محمد العاصي ص٢٤ .

ثانياً – كتَّاب القرية :

كان لكتَّاب القرية في نفس الكاتب متعة خاصة، لا يشعر بها الكثير من أقرانه، وكانت تلك المتعة الخاصة التي يستشعرها الكاتب في الغدوة والروحة،
يصورها بقوله : "أتممت القرآن الكريم حفظاً وكانت هناك لحظات ممتعة في حياتي الباكرة، أُولاها – عندما أذهب إلي " كتَّاب سيدنا " لأقرأ حصتي اليومية من كتاب الله تعالى، استعداداً للالتحاق بالمعهد الديني بشبين الكوم."[(١)].

كانت تلك المتعة لأن الكتاب هو الذي أمدَّه بما يريد ويبحث عنه، علَّمه إتقان القراءة، وإجادة التجويد للقرآن الكريم، كما أنه أمده بهيبة ووقارٍ بين الناس، فجعل الناس يشيرون إليه بالبنان وينادونه "بالشيخ محمود" وهو لقب أثير في نفسه، وهو ما يزال حديث السن، لأن هذا اللقب يّستمدُّ هيبته وجلالَه من هيبة وجلال القرآن الكريم.

كما أن هذا الكتَّاب نجح في تقويم لسانه، وتفتق ذهنه، حيث يقول الكاتب : " لقد كانت المشيخة لواء النصر المعقود على من حفظ القرآن الكريم، وإن لم يكن بلغ سن الرشد، وإذا كان في القرية عندئذ من ينادي بالدكتور لأنه رشح لكلية الطب ، فقد كان لقب الشيخ أندي، وكان أجمل في حس الناس جميعا، جمالا، ونداوة مشتقين من القرآن الكريم، الذي قد يخطئ واحد في تلاوته، فلا تحتاج إلى عالم لتصحح به الخطأ ، ولكن يتكفل بالرد آلاف الصبيان في آلاف الكتاتيب." [(٢)].

ومن المُتَع التي حصلها الكاتب من الكتَّاب أنه أهَّله للالتحاق بالأزهر الشريف، فهو بذلك يؤهله لأحد مراكز القيادة في العالم، وأحد أهم مراكز التنوير ونشر العلوم في الدنيا، فهو يعدُّه ليكون إماماً في المستقبل، ويقول في هذا المعنى: " ولقد كان الأمل في أن أكون خطيبا يلح على خاطري دائما. فبينما كان يحلم رفاقي أن يكونوا مدرسين أو مهندسين، ضباطا أو مخترعين، كانت صورة حياتي المقبلة : خطيبًا يعتلي منصة، وبين يديه جماهير ينصتون ويتأثرون." [(٣)].

---

(١) أ.د: محمود محمد عمارة سيرة ومسيرة، د: محمد العاصي ص٢٤ .
(٢) السابق ص٢٥،٢٤ .
(٣) الخطابة بين النظرية والتطبيق ، جـ١ – ص٥ / د محمود محمد محمد عماره – ط: الأزهر= = الشريف/مجمع مطابع الأزهر- سلسلة البحوث الإسلامية.السنة٣٦-الكتاب الأول ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

كانت تلك وجهة الكاتب الدعوية، وللناس فيما يعشقون مذاهب، فهذا الصبي رأى الرفعة والعزة من منظوره الذي قد يظنه البعض صغيراً، ولكنه عند الله كبير، ولطالما ردد أديب الدعاة في غير مكان قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴿٣٣﴾﴾[١].

ثالثاً – الحرص على حضور حلقات العلم :

لكي يستطيع "الشيخ عمارة" تحقيق مبتغاه، فقد اتَّخذ لهذا المبتغى مسعاه. وصارت مصادر المعرفة تُلِحُّ عليه وتلمع في خاطره ليدرس ويتفقه ويتعلم، لكي لا يشابه أحداً، ويتخذَ لنفسه منبراً يُطلِّ منه على الدنيا، يُشِعُّ علماً وحكمة.

ولأن هذا الأمل لا يتحقق فقط عن طريق الكتب وحدها دون مدارسة العلم ومجالسة العلماء، والأخذ عنهم، فقد طالت أسفار الكاتب بحثاً عن العلم ومنابعه.

وقد أشار الكاتب إلى ذلك في غير موضع من مؤلفاته، حيث يقول : " كنت أنتقل مدفوعا بهذا الأمل من هنا إلى هناك، لأستمع إلى هذا الخطيب أو ذاك، وربما طال سفري واشتد عنائي، لأمثل ساعة بين يدي خطيب فذٍ أرى فيه مثلي الأعلى. وإني لأعود من رحلاتي قرير العين بما بذلت من مال، وأنفقت من ساعات من أجل ساعة واحدة أستمع، بل أستمتع فيها بخطيب: أتعلم منه، وآخذ عنه، وأغذي روحي الظمأى بوقود من المعرفة على الطبيعة، وصولا إلى مركزٍ مماثل أُطلُّ منه علي الناس خطيبا يتحمل مع غيره مسئولية التوجيه."[٢].

وهذا الجندي المرشح للقيادة في حاجة إلى السلاح، وكان سلاح الكاتب في مجال دعوته ثقافته، التي عَانَى من أجل الحصول عليها وتَكبَّد المشاق. وظهر أن الكاتب لم يركن ، ولم يكتف بالتَّمني ليحظى بتلك المنزلة، بل سار على درب العناء طويلاً، على حد قول أمير الشعراء أحمد شوقي : (الوافر)[٣]

وَمـا نَيـلُ المَطالِـبِ بِـالتَمَنّي *** وَلَكِـن تُؤخَـذُ الـدُنيا غِلابـا

وَمـا استَعـصى عَلـى قَـومٍ مَنـالٌ *** إِذا الإِقـدامُ كـانَ لَهُـمْ رِكابـا

---

(١) سورة فصلت من الآية ٣٣ .
(٢) الخطابة بين النظرية والتطبيق ، جـ١ – ص٥،٦ .
(٣) أحمد شوقي.الأعمال الشعرية الكاملة.ج١ / ص٧١ – دار العودة/ بيروت-الطبعة الأولى١٩٨٨ .

وعلى طريق المصاعب والبحث عن المُكوِّن الفكري، يدرك الكاتب أمله المنشود؛ لأنه لم يتوانى لحظة من أجل تحويل مساعيه لواقع يعيشه، يقول : "ولم تتوقف رحلاتي طلباً للعلم والاستيعاب، من واقع التجارب الحيَّة، وأحسست بالأمل يتحول مع الأيام تجارب تقترب من النجاح"(١).

كما كانت أسفار الكاتب أيضاً مدداً له بأنواع الثقافات والمعارف، فالكاتب له نظره تأملية استطاع من خلالها أن يصور تجارب الحياة في نطاق إسلامي،

ويترجم مواقفها من معجمه الديني، فنجده يُعبِّر عن أحد المشاهد بقوله : "من مظاهر القرية زمان، أنهم كانوا يحدون على الميت بتحريم ألوان من الطعام حزناً عليه، وكنت أقول لهم: لماذا لا تُحرِّمون على أنفسكم استنشاق الهواء، وهو أغلى من الغذاء، وأدل على الوفاء؟!!"(٢). وهكذا تبقى آثار الترحال ومشاهده حاضرة في الذهن لا تغيب.

كما اكتسب الكاتب من خلال مشاهداته مَلكَاتٍ جديدة، أمدَّته بالكثير من سبل الإدراك وصياغة الأحداث، منها:

رابعاً – الفطرة النَّقيَّة، والنشأة الدينية :

تُعدُّ الفطرة النَّقيَّة، والنشأة الدينية للكاتب من أساسيات النبوغ، حيث جعلته يتوقف أمام كثيرٍ من الأحداث والمشاهد، شارحاً لها موضحاً لمغزاها، وكان من تلك الأحداث التي توقف أمامها متخيلاً أحداثها بنظرة متأنية صاغها في أسلوب رشيق، حيث يقول : "سألت نفسي ماذا لو أن آدم أبو البشر أمضى بقية عمره في رياض الجنان، ولم ينزل إلى الأرض يضرب في مناكبها؟ إذن لأقفرت جوانب الأرض، ولم نجد إنساناً يدب فوقها! ماذا لو أن محمداً سيد البشر بقي في غار حراء يتعبَّد السنين الطوال، ثمَّ ترك الملك للمالك؟! إذن لأفنى الخلق بعضهم بعضاً،

ولسار موكب الحياة في حنادس(٣)الظلم لا يلوي على شيء..إنَّ الإسلام لم يكن فقط آيات تتلى، ولكنه بجانب هذا، دين جهاد وجِلاد في سبيل الرزق." (٤)

---

(١) الخطابة بين النظرية والتطبيق، جـ١ / ص٧ .
(٢) من مقالة الكاتب:"لحظة تفضل العمر".مجلة الأزهر-العدد٦ / ص٨٩١ –جمادى الآخر١٤٢٣ه .
(٣) حندس: الحِنْدِسُ: الظُّلْمَة، وَفِي الصِّحَاحِ: اللَّيْلُ الشَّدِيدُ الظُّلْمَةِ.لسان العرب/فصل الحاء المهملة.
(٤) من مشاهد الطبيعة إلى حقائق الشريعة،ص ١٧١ .

ولننظر إلى الكاتب هنا كيف أمده خياله بتلك الصورة عن الحياة، حيث يتساءل مع نفسه معملاً ذهنه في مشهدٍ عجيب، ليخرج بنتيجة أن الدنيا ما قامت عبثاً، ولكن لغاية، ولكل فردٍ فيها أهداف وأعمال، فلينظر كلٌّ إلى مراد الله تعالى منه في الحياة.

خامساً – الدراسة في الأزهر الشريف :

كان للدراسة في الأزهر الشريف تأثير كبير على الكاتب، لقد غَذَّت فكره وصقلت معرفته، في مختلف العلوم، حيث كان وما يزال الأزهر الشريف قبلة القصَّاد للعلم في مختلف فروع المعرفة، وإن أصبحنا في زمن تداعت فيه الأمم الكافرة على الأزهر الشريف «كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»(١)، وأصبح الكل يتناوشه باستئذان وبدون استئذان من كل حدب وصوب، إذن الحَاجَة تستدعي تربية مؤمنة بالله تعالى، تؤسس لصحيح الدين.

وكانت تلك التربية في الأزهر على يد علماء أجلاء تركوا آثار علومهم بل وأخلاقهم بادية على الكاتب، يفخَرُ بها في كل محفلٍ يتعرض له، فمن نجاحات الأستاذ أن يترك أثره بادياً على الطلاب، بحيث لا يستطيع أن يتجاهل دوره أحد، حتى إن الأستاذ نفسه والوالدين أو الزملاء لهذا الطالب يلحظون عليه تقليداً في تصرفات معلمه أو برنامج حياته، والتي نتجت عن إعجابه بأستاذه، ومن خلال هذا الجانب يأتي دور الأستاذ في التأثير الإيجابي والتغيير في حياة طلابه، وعن مدى تأثير أساتذة الكاتب فيه لما سُؤل حول دراسته في جامعة الأزهر، وتخرُّجِه فيها في عام ستة وخمسين وتسعمائة وألف، قال :"الكوكبة التي أثرت في هم المحمدون زائد واحد، الشيخ محمد الغزالي، ومن قبله الشيخ محمد المدني...والشيخ محمد أبوزهرة، والدكتور محمد سعاد جلال، والدكتور محمد الغمراوي، وكل واحد منهم نمَّى ناحية من النواحي ، والشيخ عبد الرحيم فوده...كان يُدرِّس لنا الإنشاء، وكان أديباً فصيحاً، تعلمت منه تبسيط المعنى، وهو فن رائع. وتعلمت من الشيخ الغزالي: التمثيل والصور البيانية. وتعلمت من الشيخ أبي زهرة: عمق الفكرة. وتعلمت من الدكتور محمد أحمد الغمراوي: الربط بين الجمل. مثلاً: الرجل العادي يقول: ينبغي للمسلم أن يتسلح بالإيمان.

---

(١) من حديث رسول الله(ﷺ)رواه أبو داود في السنن جـ٦ / ص٣٥٥ –رقم ٤٢٩٧- تحقيق: شعيب الأرنؤوط، دار الرسالة العالمية، ط١ / ١٤٣٠ه – ٢٠٠٩م.

وينبغي للمسلم أن يتسلح بقيمة التقوى. فأنا أخذت من الغمراوي ما يجعلني أقول: يجب على المسلم أن يتسلح بالإيمان تسليحاً يسفر في النهاية عن ملكات في طليعتها قيمة التقوى. إذن: هي جملة واحدة: كأنَّ الإيمان أساس التقوى وهي ثمرة من ثمراته. أما القول العادي الأول: فهو جمل معطوف بعضها على بعض فصارت المعاني مفككة.

وتعلمت من الدكتور محمد سعاد جلال: التعليل، فهو أصولي[١] وهو فن كبير فكان يقول: القرآن قدَّم الوصية على الدَّيْن مع أنَّ الدَّين أولى، ثم يعطيك علا واقعية، علة رجل عايش الأحداث."[٢].

هذه هي آثار التربية الأزهرية في نفس الكاتب من اعتزاز بالعلم فيه والدراسة على يد أعلامه الكبار، الذين شكلوا الوعي وأثْرُوا الكاتبَ بعلم غزيرٍ، لينتقل الكاتب به بعد ذلك إلى الأزهر الشريف ومدارس المتعلمين، ليضيف إلى رصيد علومه علوماً جديدة من الحياة، ليملأ به أسماع الدنيا بعد ذلك.

سادساً – التنقل بين أروقة المعاهد الأزهرية :

أثرى عمل الكاتب بالأزهر الشريف علومه ومداركه، وكما أضاف إليها من علومه وفيض خواطره ، فاضت أيضاً عليه من منابع مواقفها ما أوقد الذهن وأشعل الخاطر.

تسلم الكاتب خطاب التعيين وكان العمل في معهد أسيوط في الثامن من أكتوبر عام سبعة وخمسين وتسعمائة وألف من الميلاد، ويذكر موقفاً عملياً لم ينسه كان سبباً في استمطار واستحضار أسباب العلوم التي لا تنقطع، فهو موقف جعله يراجع معلوماته ليستوثق منها فيزداد معرفة، يقول: " في أول لقاء مع طلابي...فاجأني أحدهم بسؤال : ما هو "الأَبُّ" المذكور في قوله تعالى : ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾[٣] ؟ وقد أحسست بأن الإجابة الفورية عن السؤال مما يحفظ "هيبة الشيخ" الذي قوبل بالحفاوة منذ قليل! حتى ولو لم يكن متأكدا من صحة الجواب، وفعلا تسرعت فقلت : إنه نوع من الفاكهة! ولمحت الطالب السائل يهمس في أذن زميله همسة مصحوبة بابتسامة صفراء تعني أن الشيخ لم يجب عن السؤال.

---

(١) أي أستاذ أصول الفقه الإسلامي.

(٢) انظر: أ.د: محمود محمد عمارة سيرة ومسيرة، د: محمد العاصي ص٣٦،٣٧ (بتصرف بسيط) .

(٣) سورة عبس الآية ٣١ .

وكان من لطف الله تعالى بي أن ألهمني في نفس اللحظة أن أوجه الحديث إلى الطالب قائلا: إذا كانت الفاكهة بالنسبة لك هي : التفاح، والبرتقال، فإن الفاكهة بالنسبة للحيوان هي : "الأَبُّ" . واستأنست بما جاء في المصباح المنير أن "الإِبَّ" هو : المرعى الذي لم يزرعه الناس مما تأكله الدواب والأنعام ، يقال الفاكهة للناس والأبُّ للدواب." (١).

هذا درسٌ من الحياة يسوقه الكاتب للمعلمين، فيه من الصدق والحكمة، والحث على إتقان العلم وإجادته ما يلهب الطاقة ويشحذ الهمة. ونلحظُ هنا أن الموقف أثار في نفس الكاتب مراجعةً علمية لمعلوماته الدينية، ليكون هناك مزيد من العلم، ومزيد من توثيقه.

ولذا بقي هذا الموقف حاضراً في ذهن الكاتب لا يغيب، وما ينفكُّ يذكره، يتعلَّم منه ويُعلِّم من خلاله الأجيال، حيث قال: "ولقد ظل هذا الموقف متوهجا في ذاكرتي لا يُنسى

وذلك لما يلي :

– إن البداية غير الطبيعية...تسلم إلي نهاية غير طبيعية : فالمدرس حين يستفتح لقاءه مع تلاميذه قائلا : أي سؤال، أنا مستعد للجواب! فلابد لهذا المدرس أن يلاقي هذا الحرج.

– ولكن ما دامت النوايا سليمة..فإن الله تعالي يقدر البلاء ثم يلطف بعبده في النهاية ، وقد لطف بي إذ أخرجني من هذا الحرج بهذا التحايل الذي أنهيت به فترة من حياتي ، كنت أظن أنني أملك من العلم شيئا مذكورا، لأستأنف مرحلة أخرى، أحترم فيها تخصصي، وقدرتي وأن الأمر على ما يقول سبحانه وتعالى :﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥﴾(٢)"(٣).

ويظهر من ذلك احترام الكاتب لعلمه، وصدقه في نقله، وهو ما جعله يراجع نفسه ليتأكد من صحيح العلم الذي مهما بلغنا منه فما هو إلا القليل، ولكن هذا لا يعني أن نكتفي بهذا القليل، بل علينا أن نكابد في طلبه، ونطلب المزيد من الله تعالى، امتثالاً لأمره سبحانه قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤﴾(٤).

---

(١) أ.د: محمود محمد عمارة سيرة ومسيرة.د:محمد العاصي، ص٥٤ .

(٢) سورة الإسراء من الآية ٨٥ .

(٣) رأي الدين - د:محمود محمد عمارة - راجعه وخرَّج أحاديثه د:محمد محمد العاصي.ص٢،١ مطابع التوحيد بشبين الكوم – ط١١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

(٤) سورة طه من الآية ١١٤ .

وقد أدى صدق الكاتب مع نفسه، ومعرفته لنفسه قدرها، واكتسابه الخبرة من مواقف حياته، إلى أن جعله فيما بعد مقصِد الجميع ومتربعاً على عروش قلوبهم.

لقد مكث أديب الدعاة في معهد أسيوط عاما كاملا، ورغم قصر المدة إلا أنه استطاع أن يحفر اسمه بحروف من نور داخل قلب كل من عامله أو حتى سمع عنه.

ويعود الكاتب من أسيوط مُحمَّلاً بمزيدٍ من روافد المعرفه وخبرات الحياة، فضلاً عن الذكريات والصداقات التي امتدت لسنوات، اعتزَّ بها الكاتب وسطَّر مواقفها بحروف من النور، وهذه ومضة من فخر الكاتب بتلك الرحلة القصيرة حيث يقول: " وبعد نصف قرن تقريبا ، صار من بين الذين احتفلوا بي أساتذة في الجامعة ، وما زالت الصلة بيننا قائمة"(١). وينتقل الكاتب بعد أسيوط للعمل في دسوق.

تسلم أديب الدعاة عمله بدسوق عام ثمان وخمسين وتسعمائة وألف من الميلاد، وكان من بركات هذا المعهد أن ازدادت روافد الكاتب الدينية من خلال :

– الخطبة في المسجد الدسوقي ، والذي كان مسجدا جامعا، بل جامعة طلابها أكثر من عشرة آلاف مصل، ومن كل محافظات مصر، ومن كل المستويات، أضف إلى ذلك علو المنبر، والذي خاطب من فوقه هؤلاء جميعا، مما أضاف رصيدا جديداً، من المعرفة والثقافة والعلوم مع مزيدٍ من التلاميذ والأصدقاء المضافين إلى رصيده في بنك الحياة .

وكان من الروافد الدينية المستمدة من العمل بالأزهر معايشة مجتمعات جديدة والتعرف على عادات وتقاليد وثقافات أخرى.

سابعاً – السفر إلى الخارج :

لا شك أنَّ السَّفر إلى دول إسلامية يتيح للفرد التزوُّد بثقافات إسلامية جديدة، ومعايشة عقليات لها أصولها يثرى المعرفة، ويمد الإنسان بعلم جديد في مجالات متعددة.

– الإعارة : وكانت أيضاً من بركات العمل في معهد دسوق، يقول أديب الدعاة عنها : "جاء المرحوم الشيخ : (عبدالفتاح القاضي)(٢)، إلى معهد دسوق "مفتشا" واستمع إليَّ في درس من

---

(١) يوميات مسلم – د:محمود محمد عماره ، ص٢٢٨،٢٢٧ – مطبعة التوحيد الحديثة بشبين الكوم / ط١ / ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٢م.

(٢) هو عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي المولود في مدينة دمنهور عاصمة محافظة البحيرة

دروس التفسير ،وجاء تقريره شاهدا لي أعتز به ، ثم مرت أعوام وأعوام ، ثم مَثُلْتُ بين يديه وكان رئيسا للجنة الاختبار إلى الخارج ، وبدأت أقرأ ، ففاجأني بما يلي : يا عمارة، هل تقرأ الآن "قرآن.أم إنجيل.أم توراة"؟!

فاعتذرت بأنني قادم من سفر طويل ، فكانت المفاجأة المذهلة في قوله : ألم تكن مدرسا بمعهد دسوق في يوم ما ؟ قلت : بلى ، قال : لقد كنت رائعا وأنت تشرح ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ۝٨﴾[١]، واستخفَّني السرور فقلت له : بعد خُمْسِ قرن من الزمان، وبعد سماعك لآلاف من أمثالي مازلت تذكر حتى الآية التي كنت أشرحها؟! لابد من أن تقرر نجاحي الآن، فشهادتك تلك لا تذهب بي فقط إلى إفريقيا، وإنما آخر الدنيا"[٢].

وهذا نجاح آخر يضاف للكاتب ورصيد جديد من شجرة الود الباسقة التي ما زالت تلقى بظلالها على الكاتب أينما حلَّ، وهو أيضاً يلْقِي بعلومه التي تركت أثرها علي الشيخ ليتذكرها بعد حين، هو العلم الذي يخلِّدُ ذكرى صاحبه، ويبقيه وضاءً مدى التاريخ.

يعود الكاتب محملا بثقافات لشعوبٍ مختلفة أثرت الفكر وأثرت وتأثرت بالكاتب، فقد كانت فترة التَّكُّون والتكوين، وفرضت مشاعر الغربة على الكاتب تصوراً جديداً للحياة، حيث اكتسب معارف، ومدارك وأصدقاء عدَّهم الكاتب ركناً شديداً في الحياة، حيث يقول: "المرء بلا صديق كاليمين بلا شمال، كما يقولون: هذا الصدر الحنون، هذا الركن الشديد، هو عنواني عند الناس، وبقدر حكمي على أخلاقهم يكون تقديرهم لأخلاقي، فنحن منظران مكرران لأصلٍ واحد"[٣]. وحيث إنَّ الصديق يؤثر في صديقه وقد يغير بقدر كبير في وجهته

بجمهورية مصرالعربية في ٢٥ من شعبان سنة ١٣٢٥هـ ، الموافق ١٤ من أكتوبر سنة ١٩٠٧معالم مصري مبرز في القراءات وعلومها وفي العلوم الشرعية والعربية، درس في الأزهر حتى حصل على إجازة التخصص القديم (تعادل الدكتوراه

حاليا) سنة ١٣٥٥هـ، وتولى مناصب كثيرة، منها رئاسة قسم القراءات التابع لكلية اللغة العربية بالأزهر حينذاك، وعين مفتشًا عامًا بالمعاهد الأزهرية، ثم وكيلا عامًا للمعاهد الأزهرية، ثم رحل إلى المدينة النبوية فشارك في إنشاء كلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية، وتولى رئاسة قسم القراءات فيها إلى وفاته سنة ١٤٠٣هـ .

http://shamela.ws/index.php/author/992.

(١) سورة المدثر الآية ٨ .

(٢) يوميات مسلم – د/محمود محمد عماره ، ص٢٢٩،٢٣٠.

(٣) من مشاهد الطبيعة إلى حقائق الشريعة.الطالب:محمود محمد عمارة، ص١٩١ / مطبعة التوحيد الحديثة بشبين الكوم. الطبعة الأولى ١٤٢٤ه/٢٠٠٣م.

وثقافته ونظرته للحياة، فالكاتب تعددت صداقاته من خلال كثرة ترحاله بين دروب الحياة، مما أثرى ملكته الفكرية، وأمدَّ مكتبته الدينية القابعة في نفسه بمزيد من العلوم.

ثامناً – الجامع والجامعة :

بدأ "الشيخ عمارة" رحلته بالتطلع للخطابة، وبدأ دور المسجد يؤثر في نظرته المستقبلية للعلوم الدينية وغيرها فمن خلالها يستطيع النفاذ للقلوب، مما دفعه لاستقصاء طرق العلم، وتكوين شخصيته بروافدها الدينية التي بدأت الحديث عنها من بدايتها من أسرته كما سبق إلى أنْ حلَّ بنا المطاف إلي الجامع الأزهر وجامعته العريقة، التي صَدَّرت علوم الحياة إلى الدنيا بأثرها.

حصل أديب الدعاة على درجة الماجستير في الدعوة والثقافة الإسلامية عام سبعين وتسعمائة وألف من الميلاد، وكانت تحت عنوان "نوح عليه السلام أول داع إلى الله".

وكان في لجنة مناقشة البحث: (الشيخ محمد الغزالي)[١]، و(الشيخ البهي الخولي) [٢].

وأما رسالة الدكتوراه فقد كانت بعنوان "تربية الأبناء في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة" وكان المشرف هو الدكتور: سيد أحمد رمضان المسير ((وكان من ردود الأفعال حول موضوع رسالة الدكتوراه : أن نوهت جريدة "الجمعة"– والتي تصدر عن كبرى المؤسسات بالرسالة مؤكدة على أن الأطروحات بجامعة الأزهر تقليدية أو مكررة إلا أن هذه الأطروحة عن تربية الطفل خرجت عن الركود المألوف بإضافة حقيقية للعلم ولقواعد التربية التي يبنى بها المجتمع الحائر بيت التيارات المتعارضة أجياله الغضة)) [٣].

---

(١) عالم ومفكر إسلامي مصري، يعد أحد دعاة الفكر الإسلامي في العصر الحديث ولد في قرية نكلا العنب، ايتاي البارود، محافظة البحيرة بمصر في (٥ ذي الحجة ١٣٣٥ هـ/ ٢٢ سبتمبر ١٩١٧م)، التحق بكلية أصول الدين، تخرج منها سنة ١٩٤١م حيث تخصص بالدعوة والإرشاد. حصل على درجة العالمية سنة ١٩٤٣. توفي١٤١٦هـ / ١٩٩٦م في الرياض في السعودية ودفن بمقبرة البقيع بالمدينة المنورة. حيث كان قد صرح بأمنيته أن يدفن هناك . https://ar.wikipedia.org

(٢) الشيخ البهي نجا إبراهيم الخولي ، المفكر والكاتب والداعية الإسلامي ،ولد عام (١٩٠١م) بقرية القرشية مركز السنطة محافظة الغربية، نشأ في أسرة متدينة، وكان والده من ذوي النعمة واليسار ، عين بعد تخرجه من دار العلوم مدرساً في المعاهد الأزهرية بطنطا، ثم انتقل إلى أسيوط ، ثم إلى القاهرة، ثم عاد إلى طنطا، بعد قيام الثورة عمل مديراً عاماً للمساجد بوزارة الأوقاف، ومديراً لتحرير مجلة منبر الإسلام، ثم عين مراقباً عاماً للشؤون الدينية في وزارة الأوقاف، ثم اختير عضواً بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، عمل مستشاراً بالمجلس الأعلى لجمعية الشبان المسلمين ، كما انتدب للتدريس في الأزهر كلية أصول الدين وفي دار العلوم وكلية العلوم الاجتماعية .. وغيرها توفي في ٢٧ ديسمبر ١٩٧٧م عن ستة وسبعين عاماً، وقد أوصى أولاده ألا ينشروا نعيه ، فمضى إلى ربه دون أن يعلم كثير من عارفيه بوفاته.https://ar.wikipedia.org .

(٣) أ.د: محمود محمد عمارة سيرة ومسيرة د- محمد العاصي ص ٤٨، ٤٩ - بتصرف -.

ومن خلال تلك الأبحاث القيمة التي قدمها الدكتور"عمارة"، والتى تُعَدُّ قبلة للقصَّاد لمن أراد أن يجد علماً نافعاً ينمي عنده ملكة البيان، أو أن يحمل علماً دينياً تكَوَّن عند الكاتب نتيجة صراعات مرَّت مع الحياة في سبيل تحصيله، يكون الكاتب مؤهلاً لعملٍ أمدته به روافده الدينية، سابقة الذكر ليستكمل تلك الروافد تباعاً فرحلة العلم لا تنتهي حتى بانتهاء العَالِم، حيث يرحل العالم ويبقى أثره معيناً خصباً ينتفع به من يبحث عن العلم النافع.

وبعدُ فقد أمدَّت كل تلك الأحداث الكاتب بفكرٍ دينيٍ جعل منه أستاذاً وداعيةً من طرازٍ فريد، وصاحب مدرسةٍ دعويةٍ جامعة للعلوم، جاء أثرها واضحاً في لقاءاته مع الناس في الحياة العامة، أو من فوق المنبر، أو عبر شاشة التليفزيون، أو من خلال الإذاعة،

حيث ظهر من خلالها أثرُ الكاتب الجلي النافع في المجتمع، وظهرت بصمته التي ظلَّت من خلالِ فكرٍ يُبدِيه، أو علمٍ يُهديه، أو سماحة تأصلت في سجيته، وبَدَتْ في ذكرياته، التي ما زالت عالقة في ذهن كل من سمعه أو قرأ له، فكان – رحمه الله – من أصحاب القبول الذين تطرب لسماعهم الآذان بصوته الشَّجِي وحديثه النِّدى.

وكان من نتاج هذا الفكر الديني، نظرة الكاتب إلى أمور الدنيا من منظور ديني، فنراه يصوغ معنى السعادة، والرضا والقناعة، من خلال سؤال كبير، تَحَيَّر في الإجابة عنه الكثير، حيث يقول : " أين السعادة "[١]، إلى الذين يحسبون السعادة في المال أو الشهرة. صاحب الفدادين الخمسة حزين، لأن غيره يمتلك عشَراً! ومالك العشَرة حزين لأن غيره يمتلك عشرين! العروس الزاهية تملأ رأسَ كلّ شاب، وعندما يراها بعينه، ويلمسها بيده، أتُراهُ اقتنع بغنيمته فأصبح سعيداً؟ كلا.

إنَّ أمله في العروس قد تحول، ليرتكز من جديد في ولدٍ يكون امتداد حياته! وعندما يرزقه الله ولداً، يظل حائراً قلقاً، حتَّى يراه ضابطاً أو طبيباً، ثمَّ يأتيه الموت في منتصف الطريق، دون أن يتحقق أمله الغالي!!.

السعادة إذن هي ألا تفكر فيها، أن تُدَثِّر نفسك برداء القناعة، ولا تنظر أبداً إلى من هو أعلى منك مالاً وجاهاً.

وحينئذٍ ستحس بأنَّك سعيد في هذه الدُّنيا." [٢].

---

(١) من مشاهد الطبيعة إلى حقائق الشريعة.ص٣٩ .

(٢) من مشاهد الطبيعة إلى حقائق الشريعة- ص٣٩ .

كانت هذه جملة من روافد الكاتب الدينية، التي أهَّلته لتلك المنزلة، كما دفعته لبحر من العلوم أمده بروافد ثقافية، هي محور الحديث التالي.

(المبحث الثاني)

الرافد الثقافي

المنابع الثقافية للفرد تنمو وتزدهر مع حركته الإيجابية، وظهر من خلال الحديث السابق عن الرافد الديني أن الكاتب كان إيجابياً في تحصيل علومه، وحريصاً على اتساع مداركه. ولا شك أن الثقافة السائدة فى البيئة المحيطة تؤثر بشكل كبير وفاعل في تكوين الفكر العام والنظرة إلى الأمور من منظورها السديد.

وحيث إن بيئة الكاتب كانت بيئة مثقفة ومحبة للحلم والمتعلمين، وعلى دراية كبيرة ومتابعة دقيقة لمجريات الأحداث، ويدل على ذلك مداومة والد الكاتب على اقتناء الكتب وحث ولده على القراءة، ومن هنا تكونت عند الكاتب أولى محطات الثقافة.

أولاً – متعة القراءة :

القراءة هي مفتاح العلوم، وهي أول توجيه رباني للبشرية، من خلال النبي الخاتم (ﷺ)، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣﴾(١).

وقد جاء الأمر هنا مقترناً باسم الله تعالى، فماذا سيقرأ النبي الكريم (ﷺ)، سيقرأ أجَلّ قراءة في تاريخ البشرية سيقرأ كتاب الله تعالى ويتدبره، لتستن البشرية من بعده بسنته (ﷺ)، فما أعظم من مدراسة كتاب الله تعالى، وتدبر معانية "وفي تكرار "إقرأ" وجوه: اقرأ لنفسك ثم اقرأ للتبليغ، أو اقرأ في خارج صلاتك، أو الأول للتعلم والثاني للتعليم وهذا قريب من الأول." (٢).

والقراءة تمثل وسيلة اتصال رئيسة للتعلم، والتعرف على الثقافات والعلوم المختلفة، وهي مصدر للنمو اللغوي للفرد، ونمو شخصيته.

وهى وسيلة لتوسيع المدارك والقدرات؛ لأن الفرد حين يقرأ، يقرأ في اللغة وفي الأدب والتفسير والفقه والعقيدة، ويقرأ في علوم المقاصد وعلوم الوسائل.

---

(١) سورة العلق الآيات من ١-٣ .

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان. النيسابوري.جـ٦ / ص٥٢٩ - تحقيق: الشيخ زكريا عميرات. دار الكتب العلميه للنشر– بيروت. الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ.

كما يقرأ في ما أُلِّف قديماً وحديثاً، فهذا كله سيكون سبباً لنمو عقله واتساع مداركه.

وهذا ما كان يعشقه الكاتب ويجد له أثراً طيباً في نفسه، ومتعة خاصة في يومه، حيث تكونت عادة القراءة عند الكاتب منذ صباه. وكان يجد فيها متعة ولذة خاصة، عندما كان يَحضر والده ومعه جريدة "الأهرام"، والتي يقول الكاتب عنها : "كنت حريصاً على قراءة الأهرام يومياً، وكان لهذه اللهفة وهذا الحرص ما يسوغه، فقد كان في الأهرام صفحة أدبية كاملة ويومية، كنت أشبهها بباقة الزهر الجامعة لكل ما في بستان المعرفة من أفانين من المقالة الأدبية، إلى القصيدة الشعرية، والطرفة، والتعليق."(١).

بينما تتجه أنظار البعض في الجريدة إلى مطالعة أخبار الفن، أو الرياضة، كانت أنظار الشيخ محمود تتعلق بالعلوم الأدبية، والتي شبهها بالرياحين تنشر عطرها عليه وتفيض من ثناها، ففيها المقالة الأدبية التي أثرت لغته، وفيها القصيدة الشعرية التي أثارت وجدانه، وكان فيها الطرفة والتعليق اللذان أضافا له مزيداً من الحكمة، والخبرة في الحياة.

وعن مدي تعلقه بتلك العلوم ومصادفتها لقريحة "الشيخ عمارة" المحبة والمتشوقة للاطلاع والمعرفة يقول: "وحتى لا يقطع علي قاطع متعة استيعاب الصفحة، لا بأس أن انتبذ على سطح الدار مكاناً قصياً، حتى أنفرد بها، ولا يشركني في حبها أحد!! ولو ترتب على ذلك حرماني من جوهر الطعام، اكتفاء بلقيمات حول المائدة يُقمن صلبي! ومنذ ذلك التاريخ تكونت لدي عادة القراءة."(٢).

لم يكن لهذا الانفراد بالجريدة، وترك متعة طعامه الشهي، إلا لحصوله على متعة أكبر وأهم عنده هي متعة القراءة والإبحار في الفنون الأدبية، إن كان طعامه يبني جسماً سيرحل يوماً ما، فإن القراءة تبني فكراً سيبقي مدى الأيام لن يغيب، لقد أدرك "الشيخ عمارة" تلك الحقيقة ليس من فراغ ولكن من تجربة واطلاع وثقافة تكونت وتشكلت منذ زمن بعيد،

حيث يقول عن عادة القراءة : "هذه العادة لا تولد مع الإنسان، وإنما هي السلعة الغالية، التي لا تظفر بها إلا بالمران، والدأب والمعاناة." (٣).

يضع الكاتب هنا يدَ المحبين للعلم والثقافة على تجربته الناجحة في الحياة، فالقراءة سلعة

---

(١) الإعلام الإسلامي في مواجهة الإعلام المادي في المقدمة صفحة أ .
(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة.
(٣) الإعلام الإسلامي في مواجهة الإعلام المادي- المقدمة : أ.

غالية لذلك لا يملك ثمنها الجميع، وعلى المُحِبِّ أن يضحي ويبذُل في سبيل ما يحب، ويجود بما يملك من أجل ذلك، إذن الحصول على الثقافة ليس بالأمر الهيِّن، وثمن الحصول عليه المزيد من الحرص على تمرين النفس وترويضها وحثها على مزيد من المعاناة من الحصول على مُتَعِ المعرفة.

* الاستغراق في القراءة :

يُبَلوِر الكاتب تلك المتعة المؤدية إلى منابع الثقافة في توصيف أدبي راق، حيث يصف من يقرأ دون أن يستشعر قيمة وجمال يقرأ، فيقول: "كنت أتردد على مكتبة المعهد الديني، وكان يلفت نظري مشهد واحد من الباحثين قلمه في يده، وعينه على صفحات الكِتَاب، وبين الفينة والفينة يشرع قلمه لينقل فقرة من الكِتَاب متصلة بموضوع بحثه، ولم أر هذا الباحث مرة أخرى مستغرقاً في الكِتَاب، متأملاً. ويعني ذلك أنه: يصطاد من المعاني ما يروقه، ثم يضعه في مكانه من البحث، غير متذوق حلاوة ما يقرأ، وما يكتب!" (١).

من يقرأ قد لا ينعدم الفائدة، ولكن بمقدار متعته تكون فائدته، وعلى قدر استغراقه وحسَّه وتذوقه يكون تحصيله، ويصوغ الكاتب تلك الصورة في صورة بليغة موضحا أن متعة القراءة لا تعادلها أية متعة أخرى حيث يقول : "لقد كنا نغوص في الترعة صِغاراً، وراء متعة الصيد ، واقتناص سمكة حيَّة، بعد أخرى، حتى إذا وافى الأصيل، لم يكن للسمك المركوم متعة، بعد ما ذقناها غضة طرية في حينها!!" (٢).

يرسم الكاتب للباحث عن سُبل المعرفة، والمُنقِّب عن أصول الثقافة صورة حيَّة من الطبيعة الأصيلة التي نشأ وتربى فيها، والتي يكمن فيها كل جميل، حيث يخبرهم أنه يوجد بَوْنٌ شاسع بين من يصطاد بحثاً كمِّيًّا، وبين من يصطاد بحثاً عن متعة ولذة الصيد.

الباحث عن الكم يشغل ذهنه أكثر بحجم ما يحصل عليه، وغالباً ما ينتفع به وحده، وإن أشركَ فيه غيره سيكون بمقابل. بينما الباحث عن المتعة لن يشغَل باله حجم ما وجد بقدر ما يشغله المتعة التي حققها في اصطياده، فهو غالباً ما يهديه غيره ومقابله في عموم النفع واستشعار المتعة.

---

(١) السابق، نفس الصفحة.
(٢) السابق، صفحة(ب).

ولأهمية أمر الاستغراق في القراءة يعدد الكاتب الصور المؤكدة على إبحاره وتعمقه فيما يقرأ، يسوق الصورة تلو الأخرى ليؤكد المعنى.

يقول في صورة أخرى : "ألا إن الفرق هائل بين من يرتشف الكأس، فيحس مع كل قطرة بمذاق الشراب، وبين هذا الذي يعبُّ الكأس عباً، كانما يتجرع قارورة الدواء؟!"(١).

والقراءة باستغراق تجعلنا نحيا حياة جديدة، ونحيا وسط ثقافات الآخرين وخلاصة تجاربهم لنزداد أعماراً إلى أعمارنا، شريطة أن يكون العمر المضاف حياة جديدة " فليست إضافة أعمار إلى الشيء بالشيء المهم إلا على اعتبارٍ واحد، هو أن يكون العمر المضاف مقداراً من الحياة لا مقداراً من السنين، أو مقداراً من مادة الحس والفكر والخيال، لا مقداراً من أخبار الوقائع وعدد السنين التي وقعت فيها." (٢).

ويمدنا الكاتب بدلائل من خلاصة ما قرأ حيث يُصرِّح برأي العقاد عن الهدف من القراءة حين قال: " لست أهوى القراءة لأكتب، ولا أهوى القراءة لأزداد عمراً في تقدير الحساب، وإنما أهوى القراءة لأن عندي حياة واحدة في هذه الدنيا، وحياة واحدة لا تكفيني، ولا تحرك كل ما في ضميري من بواعث الحركة. والقراءة دون غيرها هي التي تعطيني أكثر من حياة واحدة في مدى عمر الإنسان الواحد، لأنها تزيد هذه الحياة من ناحية العمق، وإن كانت لا تطيلها بمقادير الحساب. فكرتك أنت فكرة واحدة، شعورك أنت شعور واحد، خيالك أنت خيال فرد إذا قصرته عليك، ولكنك إذا لاقيت بفكرتك فكرة أخرى، أو لاقيت بشعورك شعوراً آخر، أو لاقيت بخيالك خيال غيرك، فليس قصارى الأمر أن الفكرة تصبح فكرتين،

أو أن الشعور يصبح شعورين، أو أن الخيال يصبح خيالين، كلا، وإنما تصبح الفكرة بهذا التلاقي مئات من الفكر في القوة والعمق،

والامتداد." (٣).

---

(١) الإعلام الإسلامي في مواجهة الإعلام المادي- المقدمة : أ.

(٢) "أنا".عباس محمود العقاد. ص٦٨،٦٩ - نهضة مصر للطباعة والنشر/ ط٣ /٢٠٠٥م.

(٣) "أنا".عباس محمود العقاد. ص٦٩ . الإعلام الإسلامي في مواجهة الإعلام المادي.د:محمود عمارة. المقدمة صفحة(ب وما بعدها).

هذه هي الحياة التي بحث عنها الكاتب حياة العلم والمعرفة والثقافة، التي ينتفع بها الإنسان وتضاف إلى رصيد حياته، فبقراءته للآخرين ينال من أفكارهم فيزيد من رصيد ثقافته وأفكاره، وينتفع بما قدموه، وكلما زادت القراءة بتعمق كلما كانت المعارف أشمل وأدق.

كما نقل الكاتب أيضاً عن العقاد حديثه عن دور الكِتَاب في بناء العقل، وتكوين الفكر، حيث قال : "الكتب هي وسائل الوصول إلى هذه الغاية، وهي النوافذ التي تُطل على حقائق الحياة، ولا تُغني النوافذ عن النُّظُر...إن الكتب طعام الفكر، وتوجد أطعمة لكل فكر، كما توجد أطعمة لكل بنية ومن مزايا البنية القوية أنها تستخرج الغذاء لنفسها من كل طعام، وكذلك الإدراك القوي يستطيع أن يجد غذاء فكرياً في موضوع." (١)

ومن خلال إلمام الكاتب بمزيد من الثقافة، التي كونتها القراءة، ومطالعة الكتب والاستغراق فيها بمزيد من المتعة استطاع الكاتب وفي سنٍ مبكرة أن ينشر فكره وثقافته عبر الجرائد والمجلات، والتي قامت بدور فاعل في إثراء الكاتب فكرياً وأمدته بمزيد من الثقافه.

ثانياً – الصحف والمجلات :

بعد أن أصبح الكاتب قادرا من خلال سعة اطلاعه، أن يتكون لديه نوع من الخبرة التي استطاع أن يخزنها في عقله بناء على التجارب التي مرَّ بها، وكان لها دور كبير في نموه العقلي حيث كان في مرحلة الطفولة يميل إلى التفكير؛ ليتعرف على حقائق الأمور، وأصبح الشيخ الصغير الآن في مرحلة الشباب، ومثقلاً بالكثير من المعارف، التي يستطيع من خلالها تنوير العقل المسلم ، وتقديم حلول لكثير من مشكلات المجتمع من منظور إسلامي وسطى معتدل؛ ظهر جليا في مشاركته برأي منشور لأول مرة على صفحات جريدة"الأساس"(٢) يقول: " وأذكر أن الجريدة نشرت رأيي في مشكلة اجتماعية بين خطيبين مازلت أحفظه بالنص حتى الآن، وما زلت حتى الآن أستشعر هذه البهجة، بنشر اسمي في جريدة يومية سيارة، يكتب فيها عملاق الفكر الإسلامي: عباس العقاد"(٣).

---

(١) السابق ص ٦٩ - ٧١ .

(٢) جريدة مصرية، كان أشهر كتابها عباس محمود العقاد، وكانت لسان حال الهيئة السعدية المكونة في مستهل عام ١٩٣٨، وساندتها جريدة "أخبار اليوم" منذ صدورها في نوفمبر ١٩٤٤= = ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

(٣) الإعلام الإسلامي في مواجهة الإعلام المادي في.د:محمود عمارة. المقدمة صفحة(ب وما بعدها).

لم تكن سعادة الكاتب فقط قابعة هناك خلف مجرد ذكر الاسم في صحيفة، بقدر ما كانت السعادة الحقيقية تصبو إلى مجاورة أعلام الفكر والثقافة، والذي تطلع الكاتب يوماً أن يحذو حذوهم، وبعد أن كان يقرأ لهم ، إذ به الآن يجاورهم ولو برأي منشور في صحيفة هم ينشرون فيها ثقافتهم. فضلاً عن كون الكاتب لم يرسل اسماً وصورة لتنشر فى مجلة أو صحيفة كما هو الحال في بعض المجلات اليوم؛ لمجرد أن يتعرف القراء على أشكالهم أو هوايتهم، ويبقى فكرهم هناك خلف تلك الصور، التي تُطلّ علينا بين الفينة والأخرى وسرعان ما تغيب بمجرد إغلاق الصحيفة أو المجلة. لكن الكاتب كان سعيداً بفكر سيخلد مع مرور الزمن هو حصيلة عناء طويل.

وكان لهذا الوضع الجديد متطلباته، فنَشرُ الفكر عبر صحيفة أو مجلة ليس بالأمر الهين، فهناك الملايين من القراء يتابعون، والعديد من النقاد يتفكَّرون، إذن الأمر يحتاج إلى مزيدٍ من القراءة والاطلاع، ولكنها خطوة على درب الثقافة الطويل.

ويعبر الكاتب عن فرحته بتلك التجربة وأنها دفعته لمزيد من المعرفة حيث يقول: "ولم أتحمل وحدي شحنة هذه البهجة، فانطلقت إلى زميلي الطالب "محمد الأحمدي أبو النور"[١]، وفي بيته التقينا تحت إشراف والده المرحوم" محمد مليجى أبو النور" واعظ القاهرة، والذي شجع المحاولة داعياً ولده "الأحمدي" أن يرافقني في هذه الرحلة الباكرة وهذا ما حدث فعلاً، وكانت آراؤنا تنشر في مربع واحد، وكان من نتيجة ذلك أن تخلقت في قلبينا الرغبة في نشر أفكارنا مدفوعين بهذا التشجيع الذي لولاه ما بلغ طالب مناه. وقبل ذلك فرضت علينا الأوضاع الجديدة أن نقرأ، وأن نستمع."[٢].

هذه القراءة وذاك الاستماع الذي تحدث عنه الكاتب ذكر أنه لم يكن هناك وضع ماليٌّ يُعين عليه، ومع ذلك كانت النتيجة مزيداً من الثقافة والمعرفة، عن طريق التعمق في القراءة. وهذا التعمق جعل الكاتب في مصاف الموهوبين فظهر تفوقه الملحوظ في كتابته، واهتمامه بها، ودفعه هذا التفوق لتطويرها بما حصَّل من ثقافة، إلى تخطِّي الحواجز التعليمية،

---

(١) الدكتور محمد الأحمدي أبو النور (١٣٤٩ هـ/١٩٣٠م- ٢٨ محرم١٤٣٧هـ/١١ نوفمبر٢٠١٥م)، وزير أوقاف مصري سابقا، من مواليد مركز الشهداء محافظة المنوفية. ترجع أصول أسرته إلى محافظة المنيا ثم استقر بهم المقام بقرية سلامون قبلي مركز الشهداء. توفي يوم الأربعاء ٢٨ محرم (١٤٣٧هـ١١ نوفمبر٢٠١٥م). ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

(٢) الإعلام الإسلامي في مواجهة الإعلام المادي.د:محمود عمارة. المقدمة صفحة(ج).

حيث يقول : "وأذكر أنني وفي مرحلة "التخصص" كنت واحداً ممن كلفهم المرحوم الشيخ "محمود فرج العقدة" كتابة موضوع إنشاء، ولقد طوح بي الاغترار بالنفس بعيداً، حين كتبت الموضوع فعلاً ولكنني بدل أن أتجه به إلى الأستاذ حبراً على ورق، اتجهت به إليه منشوراً في مجلة الدعوة!!" (١).

ثالثاً – الحضور الإعلامي :

الحضور الإعلامي الواسع للكاتب جعله متَّقد الذهن غزير العلم يتحدث في مختلف العلوم، حيث نجده يطل علينا من الشاشة من خلال برنامج حديث الروح، أو اللقاءات في المناسبات الدينية، أو خطب الجمعة المذاعة، ومن الإذاعة عبر برامج متنوعة مثل: برنامج رأي الدين، والنفس في القرآن، وتقدمة التلاوة وغيرها، مما جعل لثقافته صدي عند الكثيرين، يذكر الكاتب منها موقفاً، حيث يقول: "وفي حديث لي مع الأستاذ "فؤاد المهندس" وكنت أسجل معه في نفس الأستوديو برنامج "تقدمة التلاوة" قال لي الرجل: "لقد سمعت منك شيئاً غير عادى...ولا يهمني الإطراء هنا، بقدر ما يهمني أن "الواعظ" المتأدب استطاع أن يؤثر في الفنان، بلون من الثقافة لم يجد من يلفته إليه." (٢)، الكاتب ومن خلال الموقف بدا مؤثراً بفكره فيمن ينشر لوناً من الثقافة أيضاً عبر نفس الوسيلة – الإذاعة – وهنا تلتقي الثقافات، وتمتزج مع بعضها لتتنوع ولتصنع في النهاية مثقفاً "فالرجل المثقف الآن بهذا المعنى ليس هو من أتقن علماً بعينه أو فناً بعينه، وإنما هو أوسع من ذلك وأشمل، هو الرجل الذي ذاق ألوان المعرفة على اختلافها حتى ذكا قلبه وصفا ذوقه وهذُب طبعه، ونفذت بصيرته، وأصبح عقله قادراً على أن يفهم عنك حين تتحدث إليه في أي لون من ألوان المعرفة." (٣).

ومع تعدد ألوان المعرفة عند الكاتب يبقى مستعداً لتقبل المزيد، فأنهار المعرفة لا تجف، ومنابع الثقافة لا تنضب أبداً.

كان الكاتب يعتزُّ ببرنامج "حديث الروح" وكان يذاع على القناة الأولى بالتليفزيون المصري، ولمَّا سئل عن إحساسه عند سماعه قال: "إحساس الفطرة: أنك لك وجود، وهذا يغزي حب

---

(١) السابق، صفحة(ب وما بعدها).
(٢) رأي الدين.د:محمود محمد عمارة. ص٥ .
(٣) مقالة "ثقافة". طه حسين.مجلة "المجلة".العدد ٧ / ص٤ – يوليه ١٩٥٧م.

الذات– ولا يترتب على هذا زهو أو غرور –، فلتعلم أني ما رضيت عن نفسي في حديث، وربما أعطاني الله ذلك حتى أظل مستعداً، فقد يكون شاباً أجرأ مني!

وإذا كانت نسبة الخوف في أول صعود للمنبر تسعين في المائة، فهي الآن تسعة وتسعين في المائة. فلو أخطأ شاب: سيقولون: شاب وأخطأ. أما أنا فلن يعفيني أحد من المسئولية."[1].

وهكذا يبقى العلماء يؤثِّرون ويتأثرون، ويعلمون ويتعلمون، فالعلم رحم بين أهله، ويبقى العلم عزيزاً لا يُنال إلا بحقه.

وبعد أن ملك الكاتب روافده الدينية، وتمكن بشكل ملحوظ من ملكته الثقافية، تقدمت به تلك الروافد نحو المجتمع، يُرفِدُه علماً وثقافة ويسترفِدُ منه، موقفاً ومشاهدات وخبرات في مجالات الحياة. وهو مجال الحديث التالي عن روافد الكاتب الاجتماعية.

(١) انظر: أ.د: محمود محمد عمارة سيرة ومسيرة، ص١٠٥.

المبحث الثالث

الرافد الاجتماعي

تناولَ الإسلام بتعاليمه السمحة الحياة الاجتماعية، ونظَّمَها، فأفسح المجال للمفكرين المسلمين، وفتحَ باب الاجتهاد الفكري، ليلِجَ منه الكتَّاب المصلحون، ليُرقِّشُوا أبحاثًا وكتابات اجتماعية حازت مُسْحَةً من العناية والاهتمام، ومما ساعد على ذلك قوة الصلة الروحية التي ربطت بين المجتمعات الإسلامية بالرغم من اختلاف عاداتها ولغاتها.

وقد تنقَّل كثير من مفكري الإسلام بين إقليم وآخر في إنحاء العالم الإسلامي المترامي الأطراف، فاكتسبوا من التجارب والخبرة ما أعانهم على تفسير ما شاهدوه من ظواهر اجتماعية، ومن بين المفكرين الاجتماعيين الذين كانت لهم إسهامات كبيرة في الفكر الاجتماعي، الدكتور "محمود عمارة" حيث كانت أفكاره وآراؤه أفكارًا إصلاحية، تهدف إلى بناء مجتمع قوي متماسك، مدفوعاً بقول الله تعالى : ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾(١).

عايش الكاتب أحداثًا اجتماعية مختلفة ومتباينة، أَثْرتْ فكره الاجتماعي، وأَثَّرَت في تكوينه، وهيَّأته ليخوض غمار الحياة المجتمعية مسلحًا بألوانٍ شتَّى من المعارف، ليسطر كتاباته في مختلف قضايا المجتمع من البِنْيَة إلى البِنَاء.

وكان مما نمَّى الفكر المجتمعي عند الكاتب ما يلي :

أولاً – نظرته الإصلاحية :

كان الكاتب – رحمه الله – صاحب فكرٍ إصلاحي، استطاع أن ينميه من خلال دراساته الدينية، وتعمقه فيها؛ حيث إنها وثيقة الصلة بالمجتمع وقضاياه، ثم تطلَّع لعلوم الأدب والبيان التي قوَّمت من منطِقهِ وأضافت له مزيدًا من الحُسن، وجعلت له رونقًا وقبولًا.

---

(١) سورة هود من الآية ٨٨ .

يدُلُّ على ذلك سعادته الغامرة بمنشوره الأول على صفحات الجرائد حيث كان في قضيةٍ اجتماعية، وكانت على صفحات جريدة "الأساس"، حيث يقول: " وأذكر أن الجريدة نشرت رأيي في مشكلة اجتماعية بين خطيبين ما زلت أحفظه بالنص حتى الآن وهو :"صارحيه بكل شيء، واسكبا معاً من عصارة قلبيكما دموعاً على ماضٍ تولَّى، لقد صدمته الأيام مثلك، واستطاعت أناملها أن تضغط عليكما طويلاً، فليواس كل منكما الآخر، وأنا واثق أن السَّفين سيسير بكما في بحر الحياة خفاق الشراع "(١).

ويظهر من خلال رأي الكاتب السابق عمق الفكر، وطلاقة اللغة الباعثة على الأمل لرأب الصدع، وتنحِيَة الخلاف جانبًا، وإفساح مجال لشجرة الود لكي تنشر ظلالها عليهما من جديد، كما بدا جلياً النزعة الإصلاحية، لذا ناسبها لون الخطاب السابق الذي يجمع ولا يفرق، ويمسح الدمع ويضمِّد الجرح.

ومن نظرات الكاتب وتأملاته في الحياة الزوجية هذا الموقف الذي يقول فيه : "كان على "البركان" أن يدرك: أن الأعشاب من حوله يمكن أن يقضى عليها بزفيره فقط، وإذن، فلا داعي للحمم اللاهبة الهائلة؟! لا داعي لأن تكون طويل اللسان، قاتل الكلمات، ما دام في إمكانك أن تنبه الغافل الذاهل بالكلمة الحانية! قلت للزوجة التي جاءت من أقصى المدينة تسعى باكية، تعرض مشكلتها. لقد رأت زوجها، وبعيني رأسها، رأته يترك اللحم الطيب، ثمَّ يُؤثِر عليه ذلك اللحم النيئ؟! لقد انتصر القبح على الجمال، وصار الأمر فوق الاحتمال، وقد أفتاها الفاقهون، أن تعتزله مع أولادها، فلا عيش معه من بعد فعلته التي فعل!!

وقلت لها: إذا كان زوجك ينطح من عمره"الخمسين"، وإذا لم يصدر منه من قبل ما يشين، ثم إذا كانت رفيقته فُرِضَت عليه فرضاً ولم يسمع هو إليها، إذا كان " الأمر كذلك: فهو غير محترف "...فلنطو هذه الصفحة من عمرنا، مع ضرورة الحذر والمتابعة...ولقد تحققت النبوءة، وصحا النائم، صحا الزوج العائد العائذ بالله تعالى مما حدث، مدركاً إلى أي حد كان الفارق بين: متعة المادة، ونعيم المودة! ولم يكن الزوج هو الفائز وحده بنعيم المودة، ولكن الزوجة والأولاد، كذلك، والدرس الأكبر هنا هو: أن في استطاعة الزوجة أن تتجاوز

(١) الإعلام الإسلامي في مواجهة الإعلام المادي/ المقدمة: صفحة ب .

لحظات الخطر بمزيدٍ من الاصطبار، يطلع به النهار." [١].

وتظهر هنا دُرْبَةُ الكاتب ونظرته الإصلاحية، بيِّنةً جلية، فهو لم يكن يومًا مع تقويض البيت بحال، وتنجح نظرة الكاتب ويعود الزوج إلى صوابه وتنعم الأسرة في نعيم المودة من جديد، ويبقى أن يبرهن الكاتب على موقف مغاير لا تشعر فيه المرأة بهذا الود، ليعرف كلا الزوجين أن السعادة في التلاقي وليس في التجافي.

يقول الكاتب : " خمسٌ وعشرون ألف رسالة، تصل يوميًا إلى ممثلة الإغراء، ومع ذلك تُعلن: أنها تحس بالوحدة القاتلة: وتصوَّروا هذا العدد الضخم الذي يملأ حياتها، لا يطرد الإحساس بالاغتراب وحتى مع وفرة الأحباب!...إذن فوفرة النعيم، لم تجلب على أهلها إلا العذاب المقيم، بينما كانت المرأة الراضية القانعة، أكبر سعادة، وأقدر على اتخاذ القرار السليم، لتصبح في رضاها، وفي سكناها بيتًا خاليًا من حبَّة القمح، وحبَّة الدواء، لتصبح أغنى بهذا الرضا، وهذا الاستعلاء حتى على الضرورات، ثم لتكُونَ زوجة صالحة مُصلِحة، حتى في ظل رجلٍ واحدٍ هو زوجها، الذي لا يملك نقيرًا ولا قِطميرًا."[٢].

هذه هي الصورة الثانية، والتي رسمها الكاتب بعد سابقتها، لتنعقد المقارنة بين الصورتين، حيث يوجد بَوْنٌ شاسع بين الوجهتين فهناك امرأة عاشت الود، وحفظت البيت والأولاد، وهنا من تعيش الاغتراب رغم كثرة الأحباب، لكنهم لا يُغنون عنها شيئًا وقت الصعاب، ويظهر من الوجهتين فكر الكاتب الذي يبعثه في المجتمع ليبقى متمسِّكًا برباط الزوجية القدسي.

ويسوق الكاتب من مخزونه الإسلامي المتنامي معه من صغره، المواقف والعبر والعظات والآيات المعبرات عن وجهته، فهي مَعِيْنُه الذي لا ينضب، ورافده الاجتماعي الثاني الذي لا ينفد.

ثانياً – المخزون الإسلامي :

امتلك الكاتب مخزونًا إسلاميًا، استطاع أن يوظِّفه في محلّه، لينال به في القلوب وقْعًا، فتأتِي مقالته الاجتماعية صرحًا متكاملاً، ودرسًا وافيًا، لمن أراد أن يتذكر ويعتبر.

---

(١) مع الأسرة المسلمة.د: محمود محمد عمارة.ص٣٤٠ــــ٣٤٢ مكتبة الإيمان بالمنصورة - ط١ /١٤٢٤ه/٢٠٠٤م.

(٢) المصدر السابق، ص٣٥١،٣٥٢ .

لقد بدا المخزون الإسلامي للكاتب سمة بارزة، وعلامة جلية على مقالته الاجتماعية، يسترفد منه أعذب النماذج، وأدقها وأنسبها لحال المقالة، لتصل لقلب المتلقي من أقصر الطرق.

ومن تلك النماذج التي تشبَّعت بروح الكاتب الإسلامية، الدعوية، افتتاح مقالته : "الاختلاط وضرورة الاحتياط"(١)، بقول الله تعال :قَالَ تَعَالَىٰ:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٨ وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٩﴾(٢).

ومن خلال هذا النموذج الإسلامي يُعبِّر الكاتب عن نظرته حيث قال: " كانت المعركة مستمرة بيني وبين قريبي رحمه الله: والذي كان من أمره: الدفاع عن الاختلاط في الابتدائي بين الذكور والإناث، حيث لا خوف من التحرش الجنسي، وكنت دائماً أنازعه مخالفاً له فيما ذهب إليه مما أظنَّه تساهلاً قد يجرُّ إلى الخطر، حين يختلط الذَّكر بالأنثى في فصل الدراسة. وكان مما كنت أرتكز عليه وألجأ إليه: هاتان الآيتان الكريمتان: ومعناهما: نداء من الله عز وجل إلى المؤمنين خاصة أن يحافظوا على عهد الإيمان الوثيق، بالالتزام بما يظل به قائماً: وإنما خصَّ المؤمنين من الرجال بسبب يحسب له، لا عليه وهو: أن أمر النساء مبني على السِّتر، وربما نقول: لأنَّهنَّ جاهزات للامتثال، أما الرجال فإنَّ تمردهن على الأوامر محتمل، فلذلك خصهم سبحانه بالخطاب." (٣).

ومن خلال النصوص يُعمل الكاتب ذهنه وتبرز نزعته الإصلاحية، من خلال روافده الاجتماعية بصبغتها الإسلامية، عبر توظيف التراث الديني.

---

(١) مجلة الأزهر، العدد ١١ / ص١٧٤٠ –ذوالقعدة١٤٣٠ه/نوفمبر٢٠٠٩م.
(٢) سورة النور الآيتان (٥٨،٥٩) .
(٣) مجلة الأزهر، العدد١١ / ص١٧٤٠وما بعدها .

ومن النماذج أيضًا التي قدَّم لها الكاتب بنص من القرآن أراد أن يَدخل من خلاله إلى قلب الزوجة؛ لبيان معنى نشوز الزوج، وحثِّها على التأني قبل اختلاق العثرات، مع حثّ الزوج على عدم إهمال زوجته، نراه يقدِّم لمقالته: " أزواج يسوقون الزمن بعقارب ساعاتهم "[١]، بقول الله تعالى : ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٢٨﴾[٢].

وفي توظيف الكاتب للنص القرآني هنا دلالة على دقته في اختيار نماذج التوظيف الدينية لمقالته، وأعانَه على ذلك مخزونه الثقافي الإسلامي.

وهكذا تستمر النماذج المنتقاة من القرآن الكريم، والتي وظَّفها الكاتب في مقالته وقام بتحليلها، وجاءت النماذج في مواقعها، معبرة عن إجادة الكاتب في اختيار نماذجه، وتمكنه من روافده.

وكان من نماذج السنة النبوية التي وظفها الكاتب في مقالته الاجتماعية، ما قدَّم به لمقالته : " امرأة تعيش خارج الزمان "[٣]، من حديث النبي (ﷺ) الذي جاء فيه "عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ–رضي الله عنه: أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ جِئْتُ لِأَهَبَ لَكَ نَفْسِي، فَنَظَرَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَصَعَّدَ النَّظَرَ إِلَيْهَا وَصَوَّبَهُ، ثُمَّ طَأْطَأَ رَأْسَهُ، فَلَمَّا رَأَتِ المَرْأَةُ أَنَّهُ لَمْ يَقْضِ فِيهَا شَيْئًا جَلَسَتْ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ بِهَا حَاجَةٌ فَزَوِّجْنِيهَا، فَقَالَ: «هَلْ عِنْدَكَ مِنْ شَيْءٍ؟» فَقَالَ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «اذْهَبْ إِلَى أَهْلِكَ فَانْظُرْ هَلْ تَجِدُ شَيْئًا؟» فَذَهَبَ ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا وَجَدْتُ شَيْئًا، قَالَ: «انْظُرْ وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ» فَذَهَبَ ثُمَّ رَجَعَ، فَقَالَ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلاَ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ، وَلَكِنْ هَذَا إِزَارِي – قَالَ سَهْلٌ: مَا لَهُ رِدَاءٌ – فَلَهَا نِصْفُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا تَصْنَعُ بِإِزَارِكَ، إِنْ لَبِسْتَهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا مِنْهُ شَيْءٌ، وَإِنْ لَبِسَتْهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ شَيْءٌ» فَجَلَسَ الرَّجُلُ حَتَّى طَالَ

---

(١) مجلة الوعي الإسلامي،العدد ٣٠٤ / ص٥٤ –ربيع الآخر ١٤١٠ه/نوفمبر١٩٨٩م .
(٢) سورة النساء الآية (١٢٨) .
(٣) مجلة الأزهر، العدد٤ / ص٦٠٤ – ربيع الآخر ١٤٢٤ه/يونيه٢٠٠٣م.

مَجْلِسُهُ ثُمَّ قَامَ فَرَآهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُوَلِّيًا، فَأَمَرَ بِهِ فَدُعِيَ، فَلَمَّا جَاءَ قَالَ: «مَاذَا مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ؟» قَالَ: مَعِي سُورَةُ كَذَا، وَسُورَةُ كَذَا، وَسُورَةُ كَذَا عَدَّهَا – قَالَ: «أَتَقْرَؤُهُنَّ عَنْ ظَهْرِ قَلْبِكَ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «اذْهَبْ فَقَدْ مَلَّكْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ»[١].

وقد وظف الكاتب النص الشريف في حديثه عن قضايا المرأة وحريّتها في الاختيار لشريك العمر، وأن تختار الأنسب إلى غير ذلك من الأمور. ولكن يبقي استدلال الكاتب على قضيته التي يتحدث فيها بالنصوص، دليلاً على تمكنه من ملكته وحُسن تقديمه للمقالة.

ثالثا – المخزون الشعري :

استطاع الكاتب من خلال معجمه الأدبي أن يصوغ مقالة اجتماعية، مشتملة على جملة من ألوان البيان المؤدي إلى التأثير في النفس، وإخراج مقالة اجتماعية مرصعة بنماذج شعرية أثْرَت المقالة ونوعت المعرفة، ونري ذلك في مقالته: " مانعة الصواعق "ب"[٢].

حيث يقول : " دواء الصبر: والأزواج على أى حال مكلفون بالصبر، يتجاوزون به المحنة الطارئة، وكفى بالصبر دواء وشفاء: ورحم الله القائل : (من بحر الخفيف) [٣]

صَبِّر النَّفْسَ عنْد كلِّ مُلِمّ *** إنَ في الصْبرِ حِيلَةَ المُحتَالِ

لا تَضِيْقَن في الأمور فقد *** يكشف لأواؤها بغير احتيالِ

ربما تجزع النفوس من *** الأمر له فرجة كحل العقالِ

قد يصاب الجبان في آخر *** الصفّ وينجو مقارع الأبطالِ.

ومن الأمثلة الشعرية أيضاً ما ذكره الكاتب في مقالته : " اتقوا هجمة الأسد الجريح "[٤].

---

(١) صحيح البخاري. جـ ٦ / ص١٩٢ – رقم ٥٠٣٠ .
(٢) مع الأسرة المسلمة.د: محمود محمد عمارة. ص٤٧ .
(٣) المصدر السابق، ص٤٩ ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. إبراهيم بن عمر البقاعي. ح٣ /ص٤٤١ الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة (د.ت).
(٤) مع الأسرة المسلمة.د: محمود محمد عمارة.ص٢٢٨ .

يقول الكاتب مصوراً حال الزوجين وقد افترقا وأخذا يتبادلان الهجوم على بعضهما، وهنا يتدخل الكاتب لعله يصيب منفعة بإيراده هذا النموذج الشعري الذي يبين فيه أن ما حدث من فِراقٍ قد يكون لحكمة لا نعلمها، فلنترك الأمر لله وهو يتولاه:

(الوافر) [١]

وكـــم لله مـــن لطـــفٍ خفـــيٍّ *** يَـــدِقّ خَفَـــاهُ عَـــنْ فَهْـــمِ الـــذَّكِيِّ

وكـــم أمـــرٍ تُـــساءُ بـــه صـــباحاً *** وَتَأْتِيْـــكَ المَـــسَرَّةُ بالعَـــشِيِّ

وعلى هذا النحو يجيد الشاعر صبغ مقالته الاجتماعية بألوان الفنون الشعرية، ويستدل بها في حينها لتضفى على المقالة رونقاً وسحراً، إن دل فإنما يدل على سعة اطلاع الشاعر وثقافته الأدبية التي تخدم المقالة.

رابعاً – المشاركة المجتمعية :

نجحت مشاركة الكاتب الاجتماعية والتي كان عضواً فاعلاً فيها، في أن تمُدَّه بثقافة اجتماعيةٍ غزيرة، من خلال الملاحظة والمناقشة، والمشاهدة على أرض الواقع، وجعلته يصوغ مقالته الاجتماعية، في ثوب مجتمعي قَشِيب، أثرى الحياة العامة لتميزة بالصدق الفني وعنصر المعايشة فـ «لَيْسَ الْخَبَرُ كَالْمُعَايَنَةِ»[٢]، وكان مما عايشه الكاتب هذا النموذج من مقالته : "نعم: حلم جميل لكنه مستحيل"[٣]، حيث يقول : "انفض مجلس الصلح بين الزوجين على الاستمساك بالميثاق الغليظ، بعد معايشة دامت ربع قرن من الزمان، ولكنها كلمة قالتها الزوجة مفادها: أن رجوعها إليه من أجل الأولاد، وفراراً من قَالةِ السوء يُشيعُها العاذلون. ومعنى ذلك أنه ليس طَرَفاً في القضية، وأنها ما زالت على ضلالها القديم: بذاء وجفاء!... وقلت للزوجة الناشز: لا داعي لتلك الحساسية المفرطة: والطلاق وإن كان أبغض الحلال، إلا إنه إسلامي، حين لا يكون سواه، وفي موقفنا الذي نعلق عليه، ماذا نرى؟

---

(١) المصدر السابق، ص٢٣١ ، ديوان الإمام على ابن أبي طالب. ص٢١٧ –جمع وترتيب عبد العزيز فرج. ط١ /١٩٠٤ه – ١٩٨٨م.

(٢) رواه أحمد ١/ ٢١٥، وابن حبان في "صحيحه" ١٤/ ٩٦ (٦٢١٣) والطبراني في "الأوسط" ١/ ١٢ رقم (٢٥).

(٣) مع الأسرة المسلمة.د: محمود محمد عمارة.ص٣٢٠ .

صحابي يطلق صحابية!!! تزوجها على السنة.

ثم هو يطلقها على السُّنة، فأية غضاضة في هذا؟! إننا نتحفظ على حق الطلاق في يد الرَّجل، إذا كان باعثُ التغيير خوفاً أو طمعاً، أما إذا كان نتيجة تأملات وتجارب، تفرض علينا التغيير، فهو الشر الذي لابد منه: وذلك شأن الزواج في وجدان المسلم الملتزم، إنه الفرق بين العشق والود." (١).

وتتضح من خلال النموذج خبرة الكاتب العملية، فهو كالطبيب الماهر، يعرف متى يُجدي العلاج ومتى يتعين البَتر.

وبعد أنْ تَكَوَّنَ فكرُ الكاتب المجتمعي عبر روافده السابقة، أَمْكن للكاتب أن يخوض غمار الكتابة في مجال السياسة إذ هي وثيقة الصلة بالمجتمع، وتقوم بالأساس عليه ولصالحه، لذا هي محل الحديث التالي.

(١) مع الأسرة المسلمة.د: محمود محمد عمارة.ص٣٢٠ .

المبحث الرابع

الرافد السياسي

ظهر من خلال الحديث السابق، فكر الكاتب الدعوى واتجاهه الإسلامي، وثقافته الواسعة، فكان يقرأ كثيراً ويتعمق فيما يقرأ، وجاءت علاقته بالسياسة من خلال القراءة.

ويبقى للجانب الأُسَرى الدور الأهم والأبرز في تكوين الكاتب دينياً وثقافياً واجتماعياً بل وسياسياً أيضاً، فكما دفع الوالد ولده إلى حقل الدعوة ودراسة أسس الدين، وكان له أكبر الأثر في هذا الاتجاه. كان للوالد أيضاً أثره في توجيه الابن ثقافياً واجتماعياً، فقد كان الكاتب أُسَرياً مرتبطاً بأسرته وثيق الصلة بهم. ويمتد هذا التأثير الأسري ليشمل الحالة السياسية للابن، ولكن هذه العلاقة السياسية لم تكن إلا علاقة علمية وثقافية، أو ارتباطاً وجدانياً، وأما التنظيمات الحزبية فلم تكن تستهوي الأسرة ولا الكاتب.

فلما غابت جريدة "الأهرام" عن المنزل، بعد أن كان الوالد يحضرها بشكل مستمر، وكان الابن يجد فيها بغيته، لتحلَّ محلها جريدة حزبية هي جريدة "الأساس"، فكان توجُّه الكاتب نحوها ليس لكونها جريدة حزبية، وإنما لكونه يجد ويطالع فيها كبار الكتاب، وحتى مشاركته فيها لم تكن مشاركة سياسية بل كانت اجتماعية.

وهذا لا يعنى أن الكاتب لم يكن مدركاً لما يدور حوله من أحداث، كيف لمن كان دأبه القراءة ومَلَكتُهُ ثقافة النقد والبناء، أن يغيب بذهنه عن مجريات الأمور من حوله، ينبغي أن يكون على دراية بمستجدات الأمور دوماً، وظهر في غير موضع حرصُ الكاتب الشديد على اقتناء الصحف، ليست المصرية فقط بل والعربية أيضاً، لمتابعة أحوال العالم من حوله ومن ثَمَّ يفيض فكره وتنبعثُ خواطره تعبر عن ذلك.

ومن ذلك قوله : "قرأت في إحدى الصحف المغربية نبأ كلب رأَى لصَّاً يهجم على صاحبه، فدافع الكلبُ عن سيده في إصرار، وأطلق اللصُّ عليه رصاصة أردته قتيلاً. ودفع الكلبُ حياته ثمناً لوفائه!. ومن مفارقات القدر أن أقرأ على نفس الصحيفة نبأ الأم التي قتلت طفلها

الصغير، ليخلو لها الجو مع عشيقها، وتعجبت حتى كدت لا أتعجب! الكلب الحيوان الأعجمي يصبح عاقلاً ليموت في سبيل صاحبه والإنسان العاقل يغدو قاتلاً!."[١].

يظهر هنا أنَّ الكاتب متابع جيد لأحوال الدنيا، فهو كما مرَّ رجل مثقف يَشقُّ بعلمه وخبرته كل المجالات، فكثيراً ما كان يغلب في مقالاته الحديث عن أمور السياسة المرتبطة بحال المسلمين وواقعهم الحالي من خلال معجمه الديني الذي يوظفه في المجال السياسي، فنراه يُبيِّن المعاني الدقيقة في قول الله تعالى : ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ ٧٨﴾[٢].

حيث يقول: "في زمان اختلط فيه الحابل بالنابل، والتبس فيه الحق بالباطل، وفي الوقت الذي ينطلق فيه السطحيون من الأقوال المتعجلة لا من الأصول الثابتة، وهم يتعاملون مع القرآن الكريم في هذا الوقت. لا بد من وقفة مع هؤلاء المتعجلين وقفة: تتضح بها المَحجَّة، ثم بها تقوم الحُجَّة! قد يزعم بعض الكاتبين أن رفع الحرج هنا يعني التسيب، واختفاء المعالم، ودك الحدود، فلا قيود، ولا حساب ولا عقاب؟١"[٣].

ضمَّن الكاتب مقالته هنا معني سياسيًا، عبر نصٍ قرآني، قد يخرجه البعض عن سياقه، ليس فقط من لا يدركون حقائق الأمر الشرعي، بل قد يتعدى الأمر ليصل إلى الكتَّاب وهنا يكمن الخطر، فإذا فهموا أن رفع الحرج في قول الله تعالي: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ ٧٨﴾[٤]، يعني الانفلات، ومتابعة الذات، فذهبوا ليغيروا معالم التاريخ ويقحموا البشرية في صراع لسوء فهمهم، إذن فقد تعين توجيههم.

لذا يقول الكاتب : "ولكننا نحاول فهم الآية الكريمة محكومين بما يليق بجلال القرآن...فماذا في الآية من معانٍ؟ إننا مأمورون بالجهاد حق الجهاد،

وأن نستفرغ الجهد في إيقاع كل ما أمر به الله تعالى وهو الجهاد الحق، وعلى جبهتين:

* جهاد العدو :بالنفس والمال .

---

(١) الدين والحياة.الشيخ:محمود محمد عمارة. ص٢٥١ – مطبعة التوحيد الحديثة بشبين الكوم.ط١/١٣٢٤ه/٢٠٠٣م.

(٢) سورة الحج من الآية ٧٨ .

(٣) "اليسر بين الغاية والوسيلة" مجلة الأزهر الجزء٦ / ص١٠٣٦ – جمادى الآخر١٤٢٦ه.

(٤) سورة الحج من الآية ٧٨ .

* وجهاد النفس: بإلزامها كلمة التقوى." [١].

لولا ثقافة الكاتب السياسية، وخبرته في تحليل النص لتأزم الأمر، واندفعت النفس يقودها قصور الفهم إلى مصارع السوء. ومن ثمَّ يؤكد الكاتب على الرباط السياسي المستمد من الشريعة التي تضبط النفس ولا تتركها على سجيتها، لماذا تُبحث الحلول العملية بعيداً عن الشرع الحكيم، ويلتقي الكاتب مع المتعجلين في نقطة حيث يقول : "إننا نرى ما يراه الكاتب المتعجل من ضعف المسلمين، وتأخرهم، لكن ليس كل حل صالحاً لإنقاذهم من ورطتهم، والحل الصحيح هو تطبيق مبادئه فهذا هو الطريق الأوحد لإثبات صلاحية الإسلام لإسعاد الحياة. ولن يكون ذلك بالتفلّت من آدابه كما يريد المستهترون. إن مبادئ الإسلام كأس صاف، فلم نعكره بأهوائنا؟!"[٢].

وهنا تتضح روافد الكاتب السياسية المستمدة من الأصول الشرعية، والمتأصلة في نفسه، حيث وضح أن حالة الضعف التي عليها الأمة علاجها هو جهاد النفس، من خلال الوقوف على مبادئ الدين، وليس في التحرر منها كما فهم المتعجِّلُون من "رفع الحرج" في الآية.

وباستطاعتنا أن نقول هنا ومن خلال تلك النماذج أنَّ القرآن الكريم والسيرة النبوية المطهرة ومطالعة أخبار السلف الصالح اتَّحدوا في نفس الكاتب وكانوا روافد أساسية لمعجمه السياسي، لذا بدا مصبوغاً بالصبغة الإسلامية؛ والدافع إلى ذلك يكمن في إيمانه العميق بمبدأ أسلمة السياسة، وليس تسييس الدين.

وحين ننظر إلى بعض كتَّاب اليوم في معرض حديثهم عن الحريات العامة على سبيل المثال نلحظ أن أوَّل ما يتحدثون عنه هو تنحية الدين جانباً بدعوى أنه يحد من الحرية ويعوق التقدم. بينما الكاتب مُعجَمُه السياسي يقوم على ربط الدين بكل أُطُرِ الحياة.

فنرى الدكتور عمارة عند حديثه عن واقع المسلمين اليوم، وقبل أن يفتح العيون المغلقة عن الواقع الأليم الذين يعيشون فيه من فرقة وتشتت، يُقرئُهم تاريخهم المجيد أولاً، فها هو ذا وبعد أن قدَّم لمجموعة من آثار الأمة في عصرها الزاهر، عندما كانت تدار الأمور بحكمة وقيادة، وود يقول :"فهذا هو تاريخنا...ولكن الواقع اليوم يؤكد كما قيل بحق: إن المسلمين يتمتعون بأنبل تاريخ، لكنهم للأسف يملكون أضعف ذاكرة.

---

(١) "اليسر بين الغاية والوسيلة" مجلة الأزهر الجزء ٦ / ص١٠٣٦ - جمادى الآخر١٤٢٦ه.
(٢) المصدر السابق ص١٠٣٧ .

والناس من حولنا يخططون بدقة...نحن أحوج ما نكون إلى فن الإدارة، ثم قوة الإرادة، وبهما معاً تتحقق الوحدة الجامعة. إن أوروبا المختلفة في كل شيء! تتحد! ونحن المسلمين المتفقين! مختلفون! إن الباطل اليوم يتحول إلى بطل بينما الحق عاجز في زمان يستنسر فيه البغاث[١]! مرة أخرى ما أحوج أمتنا إلى: إرادة قوية وإدارة حكيمة!"[٢].

وهكذا فالقيادة مستمدة من التاريخ الإسلامي، والحرية كفلها الإسلام للفرد وقد ساوى بين كل البشر، حتى حرية العقيدة والرأي فقد قرر الإسلام إن للإنسان الحق في اختيار ما يؤدي إليه تفكيره ويستقر عليه ضميره من عقيدة، دون إكراه أو ضغط من أجل اعتناق عقيدة معينة أو لتغيير عقيدته بأية وسيلة من وسائل الإكراه،

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾[٣].

وفي تأكيد الكاتب على أن الإصلاح السياسي لا يكون إلا باستلهام الماضي والوقوف على أسراره ودقائقه، فهو مفتاح النصر والتقدم والرقي، يقول : "من الأهمية بمكان أن نعود إلى الماضي، وفي أزهى عصوره، نتأمله في رموزه من الرجال العظام: نفتح أبصارنا على أعمالهم، وبصائرنا على أخلاقهم، نرطب ألسنتنا بمأثور كلامهم، ومنثور حكمهم، من كلِّ مفيد نبعث به جديد. فإذا الأمَّة: ماضية بسليقة الإقدام، وليس الإحجام، الاقتراب، لا الانسحاب، الانتعاش، لا الانكماش"[٤].

وهكذا يُمثِّل التراث الإسلامي الرافد الأهم لدى الكاتب في تدعيم الرافد السياسي حتى إننا لنجده يحارب الواقع بروافده المستمدة من الغرب، بمعتقداته التي لا تناسب حال الأمة، التي أثبتت التجربة العملية والواقع،فشل المجتمع بتقليد تلك الروافد والمستجدات التي لا أصل لها.

ويرى الكاتب أنَّه في التمسك بالتراث واللجوء إليه، وفي استحضار العظة منه حمايةً من تلك الهجمات الغربية الموجَّهة إلينا، حيث يقول : "وفي تأمل سير الصالحين إلى جانب ذلك: فرار من الثقافات الرديئة، والبدع السيئة، من كل ما يعكر هذا النَّبع الرائق"[٥].

---

(١) (بَغَاثُ) الطَّيْرِ بِفَتْحِ الْبَاءِ وَضَمِّهَا وَكَسْرِهَا شِرَارُهَا وَمَا لَا يَصِيدُ. مختار الصحاح - ص٣٧ .
(٢) "من دروس التربية العملية" مجلة الأزهر الجزء ١ / ص٥٢ – المحرم١٤٢٤ه / مارس٢٠٠٣م.
(٣) سورة الكافرون الآية (٦) .
(٤) "من دروس التربية العملية" مجلة الأزهر، الجزء٤ / ص٦١٦ – ربيع الآخر١٤٢٢ه/يوليو٢٠٠١م.
(٥) "من دروس التربية العملية" مجلة الأزهر، الجزء ٤ / ص٦١٦– ربيع الآخر١٤٢٢ه/ يوليو٢٠٠١م.

حتى في معرض حديث الكاتب عن ذكرى النصر العظيم في أكتوبر، يربطه الكاتب بتاريخ الأمَّة المجيد ويجعل دعوته للبناء والتنمية، وصنع الحضارة سيراً على طريق الأوائل فيقول وتحت عنوان : "في ذكرى العاشر من رمضان نبني كما كانت أوائلنا تبني"(١). يقول : "ولقد جاءت حرب رمضان العظيمة طِبقَ ما قرر السيد الرئيس، حين فجَّر في قلب الأمة العربية فضائلها تفجيراً، مستصحباً في جهاده تجربة الأمَّة الثائرة، والتي بدأت ثورتها بالغزوة المسلحة في بدر الكبرى، فغمرت أُنوف المستكبرين في التراب، وما زالت مواكب النَّصر تمضي حتى شاهدنا قوات "بدر" في معركة رمضان، تبني كما كانت أوائلنا تبني، وتفعل مثلما فعلوا.

لقد أنزل الله الماء ليطهر به النفوس، والقلوب وأنعم عليهم بالنعاس أَمَنَةً مِنْهُ سبحانه، فجاء نصر الله والفتح. وها هو ذا التاريخ يعيد نفسه: لقد نبع الماء بين يدي قوات "بدر" بالأمس القريب، بشيراً بالنصر، وإنعاماً من الله سبحانه تعالى، على قوم وضعوا أقدامهم على الطريق إلى الله تعالى. وكأنَّما التاريخ يعود اليوم على بدئه يحكي سنة الله في النصر، وكيف أن الله سبحانه يعود بالنصر والتأييد كلما عدنا إلى الطريق المستقيم." (٢).

يبدوا هنا جلياً منهج الكاتب في الربط بين القديم والحديث، ورسم صورة الماضي التَّليد بالحاضر المَجِيد، مازجاً كلا الصورتين في نسقٍ واحد، جاء تحت مظلة التكبير التي انطلقت منها شرارة النصر، فهناك في بدر تثور الأمة على من أخرجوهم من ديارهم بغير حق، واستحلُّوا ديارهم وأموالهم، واليوم تثور الأمة على من غصبوا الأرض، وجاسوا خلالها فسادًا، فكانت الكرة للمسلين فبَنوا نصرًا لمَّا استهلُّوا قتالهم بالتكبير.

وهنا نلمَح أنَّ الرافد الأساسي للفكر السياسي لدى الكاتب نابعٌ من كتاب الله تعالى، وسنَّة نبيه وسير الصالحين، حيث لاحظت أنه يقدِّم لمقالته السياسية بنصٍ قرآني كريم، أو بنصٍ نبوي شريف، أو أثرٍ إسلامي من التاريخ المجيد.

---

(١) مجلة الأزهر، الجزء ٨ / ص١٥٥ – رمضان١٣٩٤ه / مارس١٩٧٤م.
(٢) المصدر السابق، ص ١٦٢ .

فقدم لمقالته "الهجرة انتصار بكل المقاييس"(١)، بقول الله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾(٢).

وكانت المقالة تدور حول استحضار روح الهجرة، التي فيها العبرة ودلائل النصر على الأعداء، ثم الحديث عن دعائم النصر المستمدة من الهجرة النبوية.

كما قدَّم الكاتب لمقالته : " السلام من مركز القوة "، بالحديث عن غزوة " بدر" الكبرى، وكيف كانت نقطة تحول في تاريخ الإسلام والتي قضى الله تعالى من خلالها على أهمية العدد والعدَّة. والمقالة تدور حول الاستعداد الدائم لمواجهة الأخطار وأَتْبعَ النص الكريم مباشرة بالحديث عن غزوة تبوك.

وافتتح مقالته : " شرف الجهاد "(٣)، بنصٍ نبويٍ شريف حول غزوة أحد، وكان آخر ما ذكره في الخاتمة نصًا قرآنيًا هو قول الله تعالى :﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾﴾(٤).

ودارت معظم النماذج السياسية على هذا النحو، والتي ظهرت من خلالها روافد الكاتب السياسية واضحة.

والكاتب هنا يمثل جبهةً قوية بكتاباته، ضد من يحلمون بدحر التراث، آملين في صناعة أمجادٍ خاصة، بمولاة أعدائهم، باحثين عن العزة لديهم، متغافلين أمجاد الماضي، ليجيبهم القرآن الكريم :﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴿١٠﴾﴾(٥).

وتجدر الإشارة إلى أن الكاتب كان مشاركاً في الحياة السياسية العامة في مصر، وكان حاضراً بفكره وثقافته السياسية.

---

(١) مجلة منبر الإسلام، الجزء١ / ص٤٢ – المحرم١٤٠٦ه / سبتمبر١٩٨٥م.
(٢) سورة التوبة الآية (٤٠) .
(٣) مجلة الأزهر، الجزء٨ / ص١١٢٠ – شعبان١٤٢٨ه / سبتمبر٢٠٠٧م.
(٤) سورة المزمل الآية (١٩).
(٥) سورة فاطر من الآية (١٠).

، إلا أن العمل السياسي كان من باب
العمل العام لصالح المجتمع، فكانت الحياة السياسية لا تستهويه، بل كانت عبئاً عليه، حيث يقول : " تقلَّبت في بعض المواقع حتى صِرتُ عضواً باللجنة المركزية، وكانت عبئاً عليّ، أذكرُ أنَّ زميلاً لي من كفر الجلابطة كان يذهب قبل الاجتماع بيوم عند ابن عمه، وكان أعزب، فيستريح، ويخرج الساعة العاشرة، واللجنة تبدأ في الحادية عشرة،
ومع ذلك كان ينام على كرسيه!! أما أنا فكنت قَلِقًا، فلم آخذ حظي من النوم، فلقد ذهبت قبل اللجنة إلى معهد منوف لأداء حصَّتي صباحاً، ثمَّ أسافر إلى مصر للجنة التي تنتهي الساعة الثالثة عصراً، وأنا كنت متيقظاً من الثالثة فجراً!!" (١).

ظهر هنا حرص الكاتب على المشاركة في الحياة السياسية، رغم أعبائه وأعماله الحياتية الأخرى. لكن تبقى الوجهة العامة في استرفاده لفكره السياسي من تراثنا الأصيل، حيث منابع النصر الأصيلة التي قادت الدنيا، في عصرها الزاهر ومجدها الوافر، ليس معنى ذلك أنه كان بمعزلٍ عن الحياة السياسية في مصر في عصرها الحديث، لقد شارك فيها، وإن كان لخدمات مجتمعية، فالعمل السياسي لا ينفك عن خدمة الناس، إذ هو قائم على ذلك بالأساس، ولكن تبقي دعوته للإصلاح السياسي مرتبطة بتقويم المجتمع، حاكماً ومحكوماً، وبنظرة متأنيةٍ في التاريخ المجيد، لنرى على أي أساس كانت تقوم تلك العلاقة، وكيف نجحت، واستقرائه لسيرته العطرة، والتنقيب عن معالم النصر.
وحيث اكتمل فِكرُ الكاتب، وإلمامه بموارد ثقافته التي كونت منه تلك القامة العلمية الفريدة، ذات المنطق البيِّن الليِّن، وسعة اطلاعه على الكثير من ألوان الأدب والبيان فضلاً عن علومه الدينية واللسانية الكبيرة، جعلت منه أديباً للدعاة، استطاع أن يخطَّ بقلمه ألواناً شتَّى من المقالات، في صورها المتعددة،

(١) أ.د: محمود محمد عمارة سيرة ومسيرة، د: محمد العاصي ص١٩٤ .